

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة المسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

العنوان

قراءة نقدية في فن السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث سيرة "لقبش" لعياش يحيايو أنموذجًا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص : أدب عربي حديث

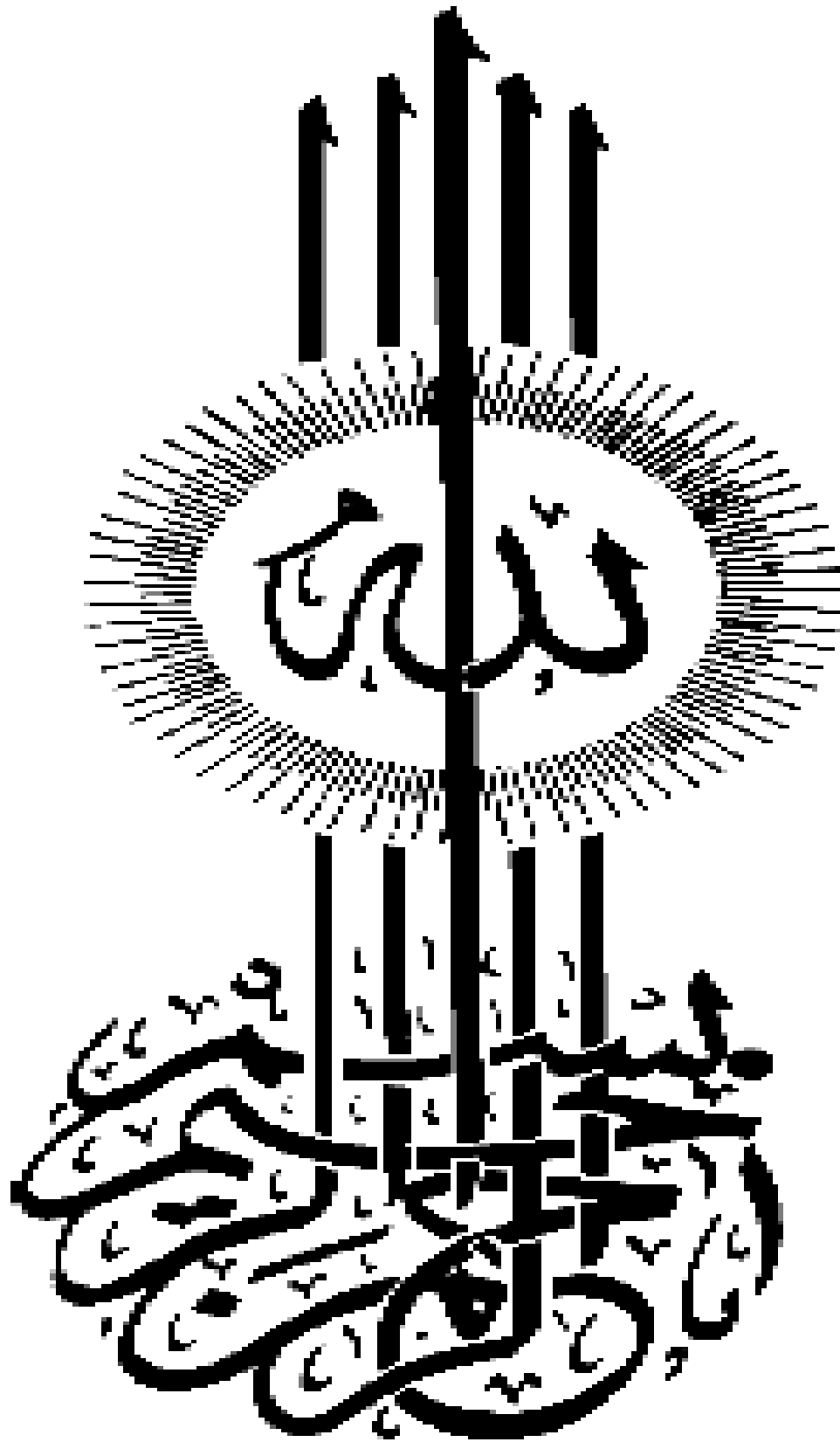
فرع : أدب عربي

- إشراف الأستاذ:

- عثمان مقيرش.

- إعداد الطالبة:

- نذير مسعودة.



كلمة شكر

اللهم لك الحمد والشكر ، لك الحمد قبل الرضى ، لك الحمد

إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى .

بعد أن من الله سبحانه وتعالى علينا بإتمام هذا البحث ،

توجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ عثمان مقيرش الذي اشرف

على هذه المذكرة ، وعلى مساعدته الصادقة وملاحظاته

الدقيقة ، وتشجيعه الكبير لنا ، دون أن ننسى جميع الأساتذة

الذين ساهموا في مدنا بالمعلومات التي ساهمت في إثراء هذا

البحث

ونشكر كل من ساهم في انجاز هذا البحث

وخاصة مكتبة باب الجامعة " أحمد مراد "

وشكراً



مقدمة



مقدمة:

كان و لا يزال أدبنا العربي يزخر بفنونه و أجناسه المتعددة و ذلك منذ القدم فتعددت فنونه سواء النثرية منها أو الشعرية و ذلك بتعدد كتابها و مؤلفتها ، فهناك من يسير على نهج الكتابة الشعرية و آخر على نهج الكتابة النثرية و التي كثرت ألوانها و أغراضها مثل المقال و القصة و المسرحية و الخطابة و الرواية و السيرة ، و هذه الأخيرة يدور حولها موضوع بحثنا هذا أو هي نوع من الأدب الذي يجمع بين التحري التاريخي و المتاع القصصي و يراد به دراسة حياة فرد من الأفراد و رسم صورة دقيقة لشخصية معينة .

و السيرة تتاسق و تتأغم ما تحمله من متناقضات ، و حياة رغم ما تحمله من دواعي الموت ، و الفناء إنه البقاء في ساعة الموت ، و الانتصار لحظة الانهزام و التفوق ، و ساعة الفشل و الأمل حال اليأس ، و هي أيضا عين الفرقة و الشتات إثر الالتقاء و عطاء حال الجذب ، و الكرم عند الحاجة ، و السيرة انتقال رحلة في طريق البحث عن الوجود و عن الحياة ، و هي فضاء للموت و الحياة ينبني على أنقاض فضاء آخر ، موطن يهجر و موطن يكتسب ، و أرض تفارق و أخرى تغتصب ، أرض تمنح و أرض تنهب . و هي زمن ماض تغمره الأمجاد ، و زمن يليه المصاعب ، و زمن آخر يصنعه الترحال و الصراع ، و زمن حاضر شددته الحروب ، و زمن مستقبل فيه من الاستقرار ما ينبني على أنقاض هذه الأزمنة أو تلك ، و هي قبل ذلك شخصيات تملأنا و تمنحنا القوة و المجد و أخرى تدفعنا بكل حماسة للحرب ، و ثالثة تبهرنا .

و ليس فن السيرة من مبتكرات عصرنا الحاضر ، بل هو عريق في القدم عرفه العرب منذ صدر الإسلام و أقبلوا عليه أيما إقبال فكان لنا منه على توالي الأجيال عدد من المؤلفات يملأ بعضها مجلدات كبيرة ، و منها العام أي الذي يتناول أشخاصا كثيرين ك: وفيات الأعيان لابن خلكان ، و منها الخاص كالسيرة النبوية لابن هشام ، و هي تتناول جانباً من الأدب العربي عامراً بالحياة نابضاً بالقوة ، و أن هذا اللون من الدراسة يصل أدبنا بتاريخ الحضارات العربية و تيار الفكر العربي ، و النفسية العربية لأنه صورة للتجربة

الصادقة الحية التي أخذنا نتلمس مظاهرها المختلفة في أدبنا عامة ، و منه كانت انطلاقتنا
لنعرف بعضاً من ملامح البيئة الجزائرية من خلال سيرة ذاتية تناولت طفولة الكاتب أيام
الاستعمار و بعده على يد الكاتب عياش يحيوي ، لنرصد من خلالها كل التفاصيل الدقيقة
للفقر و الحرمان و العوز السائد آنذاك.

و هنا يطرح الإشكال: هل وفق الكاتب عياش يحيوي في إيصال الصورة الواضحة
لطفولته في تلك الفترة ؟ إلى أي مدى وصلت مصداقيته من الصراحة و الصدق في هذا
العمل السردي الدقيق مع ذاكرة طفل صغير لم يتجاوز الخامسة من عمره ؟

هل للعواطف و المشاعر الدفينة دوراً بارزاً و حافزاً للدفع بالكاتب من أجل التعبير عنها
بالكتابة ؟

إن حب التطلع والاجتهاد دفعنا لوضع حد لكثير من التساؤلات التي تورقنا وكان كذلك
اختيارنا لهذا الكاتب الجزائري لنعرف مدى ارتباط هذا النوع من السرد الأدبي ببعضه البعض
داخل حيز الأدب العربي و فنونه ، لما يلاقيه من أهمية بارزة في مجال حصر الشخصية
العربية من جميع نواحيها الفكرية و الاجتماعية و السياسية و كذا النفسية .

فاعتمدنا لمعرفة ذلك منهجاً وصفيًا تحليليًا بما يلائم نوعية و طبيعة السرد السيري و لأن
هذا النوع من الأدب يعد إنتاجاً حقيقياً نابغاً من ذاتية الكاتب بما تحمله من عواطف و
أحاسيس دفينية منذ القدم.

و قد فرض علينا كل هذا و طبيعة الموضوع تقسيم المذكرة إلى مدخل عام شمل التحدث
عن علاقة فن السيرة بالأسطورة و التاريخ و مظاهر ظهورها عند العرب و الغرب. و كذا إلى
فصلين فصل نظري و فصل تطبيقي، فأما الفصل النظري و الذي جاء تحت عنوان مفاهيم
عامة حول فن السيرة فقد تكلمنا فيه عن مفهوم السيرة و أهم أنواعها و خصائص كل من
هذه الأنواع و كيفية كتابة السيرة و أهم العلاقات التي تربط فن السيرة بالفنون الأخرى . أما
فيما يخص الفصل التطبيقي و الذي كان تحت عنوان دراسة تحليلية نقدية في مضمون

السيرة الذاتية "لقبش" ، تطرقنا فيه إلى تلخيص مضمون السيرة و كذا منهجه المتبع و أسلوبه ، ثم درسنا البنية السردية للنص لنخلص في الأخير إلى تحليل نفسية الكاتب من خلال عمله السردى و إجراء مقارنة بينه و بين كتاب آخرين في مجال السيرة الذاتية. و لا ننسى أن نشير إلى الصعوبات التي إعترضتنا و التي وقفت كعقبة أمام بحثنا هذا، و هي أن الكتاب الذي كان محل الدراسة، كان جديداً أو بمعنى آخر لم يكن شائعاً و لا معروفاً في الوسط الجزائري ، لذلك لم أجد عنه أي دراسات أو قراءة نقدية قد تفيدني في هذا التحليل و لو بالقليل ، إلا أنني استطعت أن أتخطى هذه الصعاب بفضل إصراري على المتابعة في البحث و الوصول إلى الهدف المرجو منه.

المدخل



نشأة فن السيرة



أولاً: السيرة في حدود الأسطورة و التاريخ.

إذا كانت الجذور البعيدة للسيرة ترجع إلى محاولات البحث عن الخلود، فهذا دليل على أنها ارتبطت بالأسطورة و دونت التاريخ من أجل الوصول إلى الحقيقة، و نقل كل الأحداث التي واجهها الأبطال في المحيط الذي عاشوا فيه .

إن الأسطورة في العربية هي الأحدوثة، و جمعها الأساطير، و هي الأحاديث التي لا يسند لها من الحقيقة، فهي الأباطيل، و الأكاذيب، و يبدو أنها تعرف كلمة (ISTORIA) الإغريقية التي تعني رواية أحداث ماضية للتسلية من غير تدقيق و لا توثيق، و ربما كانت قد انتقلت إلى العربية عن طريق السريالية و من الأسطورة أشتق فعل سطر فيقال سطر علينا فلان إذ جاء بأحاديث تشبه الباطل و هو يسطر ما لا أصل له، أي يألفه و من الأسطورة (MYTH)أشتق مصطلح معاصرو هو (Mythologer) ليبدل على معنيين أولهما العلم الذي يدرس الأساطير و يبحث فيها، و الثاني مجموعة أساطير أمة ما كالأساطير الإغريقية، و السومرية أو الفرعونية، و ليس في العربية مثل ذلك المصطلح فيقال - "الأساطير، علم الأساطير" - وقد ترجم "ميثولوجيا".⁽¹⁾

أما التاريخ عند ابن خلدون فيعرفه بأنه فن أخلاقي تعليمي عن أخبار الماضين من الأمم السالفة بقوله: "إن فن التاريخ فن غزير المذهب جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، و الأنبياء في سيرهم، و الملوك في دولهم و سياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدنيا و الدين"⁽²⁾

و من خلال هذين التعريفين نجد أن كل من الأسطورة، و التاريخ يدرسان حياة الأمم و الحضارات الماضية و القديمة و محاولة نقلها عبر العصور و تعريفها للأمم الحاضرة.

¹ - زياد محبك،(الأسطورة)، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، ع172، دمشق، سوريا، 1985، ص (38) .
² - حنان قرقوتي، من العلوم عند المسلمين، مجلة المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص(14).

لقد قام الإنسان قديماً بالبحث عن أسرار الكون و غوامضه و فك طلاسمه، و ذلك بخلق أساطير جديدة من أجل الخلود.

فكل المعتقدات التي لها صلة بالتقمص أو الطقوس التي ترتبط بالميلاد الجديد في المجتمعات البدائية، تفسر إلحاح فكرة البحث عن الخلود على العقل البدائي. فبعض قبائل الهند تدفن موتاهها في قبور على شكل الرحم انه العودة إلى رحم الأم إلى الأرض من أجل حمل جديد و ميلاد جديد و استمرار حياة أو خلودها و في تلك الفكرة نفسها كمنت الجنور البعيدة للمحاولات الأولى في السيرة. (1)

فمنذ خمسة آلاف سنة ترك المصريون القدماء و ملوكهم على وجه الخصوص، نقوشاً و رموزاً في مقابرهم ليضمنوا مرورهم الأمن إلى عالم الخلود، و ليس في ذلك بطبيعة الحال من باب السير و التراجم، لأنهم لم يحاولوا في أغلب الأحيان وصف شخصياتهم و تدوين حياتهم الجارية، و لكن هدفهم يدخل دون شك من أوسع أبواب السيرة لأنهم أرادوا أن يصونوا في الأرض و في السماء مجد أفرد و أبطال لهم قداستهم. (2)

فالمصريون قديماً كانوا يدفنون موتاهم و يضعون معهم الملابس و الأكل، وحتى الجواري من أجل خدمتهم في الحياة الأخرى، التي يعتقدون أنها موجودة و خاصة الذين لهم شأن و مركز في ذلك الوقت مثل (الملوك) .

و من بين الأساطير المصرية القديمة نجد مثلاً أسطورة "أزيس و أوزيريس" ففي السابع عشر من شهر هاتور (موعد الاحتفال بالبدر أو دفن أوزيريس) حيث أقدم "ست" بقتل أخيه الملك "أوزيريس" لأنه هو الإله المهيمن على الزرع و بذرة الحياة في كل حي، و قد كان أخاه "ست" يغار منه فصمم على قتله فقتله. و تقول الروايات المصرية أن أزيس زوجة أوزيريس جمعت أشلاء زوجها، و قعدت مع أختها "بنفتيس" تندبان المقتول، ورق الإله لبكاء

1 - ماهر حسن فهمي، السيرة تاريخ و فن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1970، ص(19).

2 - المرجع نفسه، ص(19).

الأختين الحزینتین، فبعث لف جسده في الكتان على عادة المصريين في دفن موتاهم، وروحت "إيزيس" بجناحها على الجسد الميت فعادت إليه الحياة، و عاد الربيع فاحتفلوا بهذه العودة في أعياد شم النسيم و هكذا اعتقد المصريون أنه إذا أمكن أن يحيا أوزيريس، و يحيا النبات كله بعد موتها، فإن بمقدور الإنسان أن يعود إلى الحياة بعد موته.⁽¹⁾

و من الأساطير كذلك نجد أسطورة "أنجيدو"، و أسطورة "أودن"، و أسطورة "جزيرة إسلندا" و غيرها من الأساطير.

و هكذا الشأن في الأساطير العربية مما يثبت تفكير الشعوب منذ نشأتها الأولى، بل دوران هذا التفكير حول وسيلة تصل بها إلى هزيمة الموت في الصراع من أجل الخلود .

يقول الدكتور فؤاد حسن : ((أساطيرنا بالرغم من تنوعها تدور حول فكرة واحدة و هي إمكان السمو بالإنسان و إبلاغه مرتبة الآلهة فيحيا الإنسان حياة الأبدية بعد أن كتب عليه الموت، و حرم من نعمة الخلود. ولذلك كانت بطولة أساطيرنا و ملاحمنا غير قاصرة على الآلهة إذ شاركهم فيها نفر من بني البشر الذين بلغوا أو كادوا يبلغون مرتبة الآلهة))

فالبطل في الأسطورة يكون على شكل إله، و الأساطير العربية بالرغم من تنوعها فإنها تدور حول فكرة واحدة، و هي سمو الإنسان و إبلاغه مرتبة الآلهة، و لم تكن الأساطير العربية مقتصرة فقط على الآلهة إذ شاركهم فيها بعض البشر، وذلك من خلال أعمالهم التي قاموا بها حتى بلغوا مرتبة الإله، و من الأساطير العربية نجد أسطورة "ذو القرنين"، و أسطورة "حي بن يقظان" لابن سينا و ابن طفيل، و اليقظان رمز الإله و الحي هو العقل، فحي بن يقظان قد نبت من تخمر الطينة .

وتلتقي الأسطورة بالتاريخ،⁽²⁾ حول سيرة البطل القديم، إنه التقاء شكلي كما يبدو للنظرة الأولى، لأن الأسطورة تجمع بالخيال و تضيف عنصر الخرافة، و لها إطارها الفني الخالص

¹ - المرجع السابق، ص(27، 29).

² - ماهر حسن فهمي، السيرة تاريخ و فن، ص(20، 21).

بينما التاريخ يحارب الخرافة و يعتمد تسجيل الحقائق و تفسيرها . و الأسطورة بعد ذلك أقدم عمراً من التاريخ، بالرغم من أننا لا نخطئ حين نقول أن النفوس البدائية التي حفظتها لنا كهوف الإنسان الأولى، هي أول ما دُون من التاريخ، و لكن هذا الالتقاء الشكلي لا يلبث أن يصبح التقاء موضوعياً يدور حول تسجيل حياة البطل و رصد حركته في بيئة معينة، فالإنسان هو صانع التاريخ فكل ما يقوم بتصميمه من رسومات و نقوش و كتابات في الكهوف قديماً هي تاريخ في حد ذاته .

و هنا تحتل السير و التراجم في مدونة التاريخ مكانا مرموقا، فإذا كان التاريخ يبحث وراء الحقيقة و يمحصها و يجلو غموضها في أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية، فإن السيرة تبحث عن الحقيقة في حياة الإنسان و تكشف عن مواهبه و أسرار عبقريته من ظروف حياته، و الأحداث التي واجهها في محيطه، و الأثر الذي خلفته .

و في أحضان التاريخ نشأة السيرة، و ترعرعت بمفاهيم الناس على مر العصور، و تشكلت بحسب تلك المفاهيم فكانت تسجيلات للإعمال، و الأحداث و الحروب المتصلة بالملوك عند الصينيين و المصريين و الآشوريين و كانت تفسيراً لبعض المبادئ السياسية عند " فلوطارخس " في كتابه عن عظماء اليونان و الرومان . فهي أخذت من التاريخ حياة أشخاص عاشوا في حقبة معينة، و دونتها وهناك من يرى أن السيرة ليست جزء من التاريخ لأنها إذا ارتبطت به فقدتها قاعدتها الصحيحة، و هذا ما نتجلاه عند " كولنجوود " الذي اعتبر السيرة كذلك. فحدود السيرة هي الأحداث البيولوجية الواقعة بين ولادة شخص و موته من طفولة و نضج و أمراض، و غيرها فهي صورة للوجود الحيواني و قد يرتبط بها كثير من العواطف الإنسانية و لكن هذا ليس تاريخاً⁽¹⁾ .

و إلى مثل هذا يذهب " تويني " أيضاً، فهو يخرج من دائرة التاريخ ما يتصل بالسير الذاتية كاعترافات القديس "أغسطس"، و "روسو"، أو حياة الملكة " فيكتوريا " لـ ستراتشي

¹ - إحسان عباس، فن السيرة، دار الشروق، عمان، ط1، 1996، ص(09).

الذي يقول: « أن هذه الكتب تشترك بالتاريخ، لأنها تدور حول أناس لهم قيمتهم في الحياة الاجتماعية ». و في النظرة الحديثة كانت السيرة من ناحية علمية تاريخًا في نشأتها، و غايتها، و إننا إذا أردنا أن نقيسها بمقياس جديد نستطيع أن نقول: " كلما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع، و تعرض أعماله متصلة بالأحداث العامة، أو منعكسة منها، أو متأثرة بها فإن السيرة - في هذا الوضع - تحقق غاية تاريخية، و كلما كانت السيرة تجتزئ بالفرد، و تفصله عن مجتمعه، و جعله الحقيقة الوحيدة الكبرى، و تنظر إلى كل ما يصدر عنه، نظرة مستقلة فإن صلتها بالتاريخ تكون واهية ضعيفة " (1).

ابتعدت السيرة عن هذا الأصل التاريخي حين أصبحت غايتها خلقية تعليمية، و ذلك عند ارتباطها برجال الدين، مثل القديس أوغسطس و روسو التي كانت تدعو إلى الغاية الخلقية .

لكن لم تكن الغاية معدومة في نشأة التاريخ، و سير المسلمين، فالقرآن الكريم هو الذي عمق الإحساس بالتاريخ عند العرب، و قد بدؤوا بكتابة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم و كانت غايتهم أخلاقية و كذلك من أجل تعريف الأمم على خير البشر و الاقتداء به . و قد ظلت السيرة التاريخية حتى العصر الحديث أقوى أنواع السير عند المسلمين و هي تجمع أحيانًا بين الغاية الخلقية، و غاية المتعة التي تحققها السير الأدبية، و لكنها قد تكون منبعثة عن مجرد الرغبة في التاريخ، أي تكون غاية في نفسها لأن المؤرخين المسلمين كانوا يرون السير جزء من التاريخ بل يرون أن التاريخ ليس إلا سير للحاكمين (2) .

و من هذا كله تدخل الأسطورة و يدخل التاريخ في تكوين و بناء السيرة فلكل منهما دور كبير و ذلك من خلال تدوين ما جرى قديمًا من أساطير و أحداث فالإنسانية حاولت تخليد أبطالها عن طريق تسجيل أعمالهم و كتابة تاريخ حياتهم من أجل خلق هذه الشخصيات من جديد و إبقائها على مر العصور مثل: سيرة حي بن يقظان، الظاهر بيبرس

¹ - المرجع السابق، ص(11، 12).

² - المرجع نفسه، ص(33).

و عنتره بن شداد و الزير سالم و غيرها كلها جمعت و وضعت في قالب فني و في ثوب أدبي جميل.

ثانياً : فن السيرة في الادب الغربي .

تعد السيرة من أحد الفنون الأدبية إذ تعود جذورها إلى القرن الثامن عشر و هو عصر النهضة، و أن الباحثين الذين اهتموا بتاريخ السيرة يؤكدون على أن أقدم ما كُتب في السيرة كان على يد شخصين يونانيين هما بنوفراستوس (372-288 ق.م)، و بلوتارك (122-48 ق.م)، غير أنهما اهتمتا بالأنماط العامة أكثر من اهتمامهم بالصفة الشخصية، و قد ظهرت السيرة في الأدب الانجليزي بداية من عام 1579م، و كان أول السير موقوفاً على حياة القديسين و كانت هذه السير تتناول الأتقياء في صورة من الوقار و كان غرض هذه السير إظهار معجزاتهم و الأعمال الجميلة في حياة هؤلاء، و من هذه السير ما كتبه ألفريك ALIFRIC من سيرة (أنوالد)، و القديس (أدمون)، و كانت هذه الكتابات هي بداية الكتابة الجادة في فن السير و التراجم في الأدب الانجليزي (1).

كما للسير الذاتية بالغرب معالم أخرى كبيرة كان لكل معلم منها أثره في كتابة السيرة الذاتية و طريقتها وفي طبيعة تلك السير " اعترافات القديس اوغسطين "، فإنها فتحت أمام الكتاب مجالاً جديداً من الصراحة الإعترافية و شجعت الميل إلى تعرية النفس في حالات كثيرة تلتبس بالآثام أو يتقل فيها عناء الضمير ثم هنالك "اعترافات روسو"، و قد خطت بالصراحة المكشوفة خطوة جديدة و كان صاحبها حين بدأ كتابتها يشعر بأنه يقوم بعمل لم يسبقه إليه احد و لن يوجد من يقدر على محاكاته فيه، و قد عني روسو فيها عناية فائقة بالصراع الداخلي دون تفلسف كثير حول ذلك الصراع، فجاءت اعترافاته مثلاً ساطعاً على

¹ - شعبان عبد الحكيم، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، رؤية نقدية، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع، ط1، 2008، ص(32).

نقلها الواقعية للحياة، و قد كان يظن أنها اصدق سيرة كتبت، و لكن الدراسات المتعمقة قد دلت على أن روسو كان مشوه للحقائق، و هو أخلص الناس في نقلها و كانت اللحظة حاسمة في تطور كتب السيرة المتعلقة بالمعاناة و الخلاص من أصولها الدينية إلى قمة الانحطاط و التدنيس، وقعت عندما تراجع عصر الإيمان لصالح عصر العقل، ياغودا يشدد - بحق - على أهمية سيرة روسو " اعترافات روسو " التي نشرت في عام 1782 بعد أربع سنوات من وفاة الفيلسوف روسو لتؤدي إلى تحول علماني حاسم لهذا النوع و الشكل الأدبي. (كتاب "اعترافات روسو" دشن بداية طفرة في كتابة المذكرات وجدها البعض مؤسفة و يرثى لها) . لكن مركزية، و ريادة كتاب روسو لهذا النوع الأدبي لم تعد الآن بسبب صراحته الفجة و بوحه المنحط، و لكن بسبب الطريقة التي مهد كتابه فيها السبيل لكتب السيرة الحالية من حيث تحولت كتابة السيرة إلى نوع من العلاج ألتطهيري المخلص من الخطايا.(1)

إن الأمور المشتركة في سرديات العبيد الذاتية و ذكريات المهجر و حكايات الهولوكوست هو كون عنصر " الخلاص " فيها أعلى بكثير من أي وقت مضى، فالآن تحولت "عين الروح " التي تحدث عنها أوغسطينوس كما أسلفنا للنظر نحو (الخارج) بمثل النظر نحو (الداخل) أيضا لتوثيق معاناة الذات، و أيضا بالضرورة تسجيل عذاب أرواح أخرى العالمية الضمنية و المشروطة في معاناة و خلاص أوغسطينوس السردية يمكن التعبير عنها بكلمات واضحة قليلة كالتالي : « لقد حدث هذا لي و يمكن أن يحدث لك إذا فعلت ما فعلته » أصبحت صريحة واضحة في الذكريات ذات الطبيعة السياسية مثل الهولوكوست، و غيره من جرائم الإبادة، أو بعبارة تقريرية مباشرة : « ما حدث لي حدث لكثيرين آخرين » و عندما ازدادت أهمية المعلومات الضمنية في المذكرات زادت كذلك

¹ - دانيال مندليسون، نهاية الرواية و بداية السيرة الذاتية، ترجمة أحمد العيسى، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2011 م، ص (151 ، 150) .

جدية، و عواقب شكوى أخرى من ذلك النوع الأدبي : أي ما أسماه فورييد " الكذب و الخداع و الادعاء الزائف "(1)

و ثمة معلم ثالث له أثره أيضا في السير الذاتية بالغرب، وهو يوميات أندريه جيد، و قد أنفق فيها السنوات الطوال يحاول أن ينقل صورة نفسه بأخطائها و وصماتها، و لكنه مع ذلك من أقرب كتاب اليوميات إلى الصراحة الكاذبة، فقد شهد صديق من أصدقاء جيد موثوق بقوله، انه ليس في كتاب الاعترافات كاتب مثل جيد تحيل في الصراحة ليكيف في شكل التمثال الذي ينصبه لنفسه كلما تقدم في العمر، و يضع له قاعدة صلبة .(2)

و هنالك من السير الذاتية ما كان ماجنا من ذلك سيرة الروائية الأمريكية كاثرين هاريسون " القبلة " التي تتذكر فيها علاقتها الجنسية المحرمة مع والدها و هي في العشرين و لمدة أربعة سنوات، و سيرة راقصة الباليه الأمريكية توني بنتلي " استسلام " حول ولعها ألهوسي بالجنس الشرجي و القائمة كما نعلم تمضي إلى ما لا نهاية .(3)

و يستطيع المرء أن يرى روح عصر النهضة بعد ذلك في تراجم و سير القرن السادس عشر مثلما يتضح ذلك في تاريخ الملك ريتشارد الثالث، الذي ألفه توماس مور .و الواقع أن ايزاك والتون في القرن السابع عشر كان أشبه بفتنرة بين الصياغة القديمة، و الفن الحديث في التراجم و السير، فقد احتضن اهتمام العصور الوسطى بالأخلاقيات و اهتمام المحدثين بالفن و الأمانة و عرض الشخصية و عندما مات 1683م ولد عصر جديد في هذا اللون الأدبي .

كانت النظريات القديمة، و نظريات العصور الوسطى عن النظام الاجتماعي، و الديني الثابت الذي كان الفرد فيه شيئا ثانويا قد تغيرت تماما تحت تأثير المذهب الفردي

1 - المرجع نفسه، صفحة (154,155).

2 - إحسان عباس، فن السيرة، دار الشروق .عمان، ط1، 1996م، ص(106، 107

3 - دانيال مندليسون، نهاية الرواية و بداية السيرة الذاتية، ترجمة أحمد العيسى، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2011م، ص

الاستبطاني الذي تطور بعد ذلك على يد الرومانتيكيين و من تفاعل التصور القديم، و التصور الجديد برزت التراجم و السير في القرن الثامن عشر بحيويتها و تنوعها.⁽¹⁾ غير ان السيرة لم تتميز بوضوح في الأدب كما تميزت في الأدب الانجليزي، و ربما لم تصل في غير هذا الأدب ما وصلتته من درجة فنية، و كل هذا يشير إلى أن السيرة في شكلها الأدبي لا تزال حديثة النشأة و أبعد نماذجها يرجع إلى القرن الثامن عشر في هذا القرن وقت الحرب بين الثورة الانجليزية و الثورة الفرنسية و فيه تحسن الطباق الوسطى و قام مناضلون بمبادئ جديدة، و أصبح هناك جمهور يحب قراءة هذا النوع من الأدب، و أخذ حب الاستطلاع يدفع المرء إلى أن يعرف أحوال جاره و معرفة تاريخ الأبطال القدماء و هذا ما أدى إلى تطور السيرة عبر العصور.

و نجد من البارزين في فن السيرة "ستراتشي" و هو من أكبر كتاب السيرة في الأدب العالمي، و كذلك "فرجينيا وولف" في سيرتها عن صديقها "روجر فلاي"، و سير "ستيفان اتسفايج"، و قد نشر ثلاث مجموعات من السيرة في الأولى ترجمة "كليست و هيلدون و نييتشه"، و ترجم في الثانية و عنوانها "أساتذة ثلاث" ل"دكنز و بلزاك"، و "تولستوي"، و في الثالثة "بناء العالم" ترجم لتولستوي، و كازانوفا، و استندال.

كذلك من أشهر السير في الأدب الانجليزي في القرن العشرين ترجمة "وليم بتلر بيتس" yeats (ت1938م)، و "جورج مور" الذي كتب ثلاث ترجمات (اعترافات شاب - مذكرات حياتي المنسية - سلاماً و وداعاً)، و في الأدب الفرنسي اعترافات "روسو"، و كتاب صديقي لأناتول فرانس و يوميات "أندريه جيد"، و يوميات "جابريل مارسيل". و في الأدب الألماني رسائل جوته "الشعر و الحقيقة لجوته"، و ثلاث تراجم لكارل ياسبر (حول فلسفتي عام 1914م)، و في الأدب الروسي اعترافات تولستوي، و يوميات ماري بشكير تسيف.

¹ - ماهر حسن فهمي، السيرة تاريخ و فن، ص(06).

و من أحدث ألون السير الذاتية في الغرب، اللون القصصي الذي يمثله كتاب "في البحث عن زمن ضاع" لمارسيل بروست، و "صورة الفنان في شبابه" لجيمس جويس، و كلاهما يتميز بالمزج بين الحركة الشعورية و اللاشعورية في القول و العمل، و يتسم الكاتب الأول بالاتساع الذاتي لشمول النظرة التحليلية حتى للشخصيات التافهة ذات الدور الثانوي في الحياة، كما يختص الثاني بالاندفاع المتحمس الذي يشبه التيار التدفق في استعراض حياة الصبا و فورة الشباب و الثورة على حياة المدرسة و التزمت الديني و هو في ناحيته الأخيرة قريب الشبه بكتاب "الأب و الابن" لادمند غوس لأنه صورة للقلق الفكري الذي ينبع من محاولة الانطلاق وراء حدود التربية الدينية الصارمة.⁽¹⁾

مما سبق نستنتج أن الكتابة في فن السيرة قد كثرة، و ازدهرت و هذا إن دل على شيء إنما يدل على أن هذا الفن قد لاقى إقبالاً، و اهتماماً كبيراً من قبل القارئ الذي أصبح على دراية بأن هذا الفن له أهمية كبيرة فلعله يزيد من ثقافته، و معلوماته بالشخصيات المشهورة التي ربما لم تكن له معلومات سابقة عنها.

¹ - إحسان عباس، فن السيرة، دار الشروق، عمان، ط 4، 1996، ص(109.110).

ثالثاً: فن السيرة في الأدب العربي .

إن كان الشعر ديوان العرب، فإن التراجم و السير ديوان المسلمين فالأدب العربي فيما قبل العصر الحديث يحتوي على تراجم لمئات الآلاف من المسلمين (أحيانا غير المسلمين) من الجنود، و العلماء إلى العشاق، و المجانين.⁽¹⁾ و قد كان معظم السير في العالم الإسلامي مجموعة من الأخبار المأثورة، أو المشاهدات ليس فيها وحدة البناء و الإحساس بالتطور الزمني و لا تتبع مراحل النمو و التغيير في الشخصية، و ظلت دون شكل تام، و دون محتوى كامل حتى العصر الحديث حيث واجهت بعض التغيير، و كان ذلك بتأثير من الثقافة الغربية .

و في هذا الصدد نجد موسى سلامة في كتابه "هؤلاء علموني" إلى ربط السيرة بقائمة من مشاهير الأعلام الغربيين فقال : « و قد تأثرت بهؤلاء الكتاب الذين ذكرتهم في هذا الكتاب و أحببتهم و أعظمتهم و وجدت فيهم النور و التوجيه ». ⁽²⁾

كذلك نجد تأثر العرب بالسيرة الذاتية اليونانية، و خاصة ما كتبه "جالينوس" عن حياته.⁽³⁾

فكما أخذت السيرة العربية من الثقافة الغربية فإننا نجد أن الأدب الغربي قد استعان بالثقافة العربية فند دائرة المعارف الإسلامية تقول : « إن سيرة عنتره عرفت في الغرب سنة 1777م، و لكنها لم تنتشر انتشارا واسعا إلا في منتصف القرن التاسع عشر، و كان الكاتب الناقد "تين" يضع عنتره في صف أكابر الأبطال الذين صنعوا أعظم الملاحم الروائية كأوليس، و رولان، و سعفريد، و رسم ». ⁽⁴⁾

¹ - مايكل كوبرسون، في السيرة العربية عصر المأمون، ترجمة محمود محمد مكي، دار النشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005، ص(19)

² - جلييلة الطريطر، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مركز النشر الجامعي، مؤسسة سعيدان للنشر، د.ب، 2004، ج.1 ص 2

، ص(81)

³ - ماهر حسن فهمي، السيرة تاريخ و فن، ص(05).

⁴ - مصطفى الصاوي الجويني، في الأدب العالمي. القصة و الرواية و السيرة، منشأة المعارف جلال حزي و شركاؤه، د.ب، د.ت، ص(180)

فالعرب عرفوا فن السيرة منذ القرن الأول الهجري إلى يومنا هذا يسجلون فيه الأعلام، و النابهين في كل علم و فن و أول ما عرفوه عن السير هي السيرة النبوية التي تناولت سيرته (صلى الله عليه و سلم)، فقد شملت تاريخًا لأفعاله و أقواله و مغازيه، حيث يقول الدكتور عبد الرزاق الموافي في كتابه (القصة العربيةعصر الابداع) : " إن العرب كانت تنظر إلى السيرة النبوية نظرة أقرب إلى التقديس، فلم يجرؤ أحد على سرد سيرته الذاتية حتى لا يهتم بمجارة السيرة النبوية، فلما استقر نص السيرة النبوية شرع النابهون على سرد سيرتهم الذاتية، و لعل رحلة الإمام الشافعي أول سيرة ذاتية عربية يصل إلينا نصًا ⁽¹⁾، و من بين الذين كتبوا عن الرسول صلى الله عليه و سلم عبد المالك بن هشام المسماة "سيرة الرسول" ابن سعد (ت230هـ) في سيرته "الطبقات الكبرى"، و سيرة ابن عيسى الترمذي "الشمائل و على الرغم من انطلاق الكتاب في تحرير هذا الفن و تحبيره انطلاقة دينية عقيدية عنيت في بداية التدوين بتسجيل سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم باعتبارها الأسوة الحسنة، و التشريع الأمثل للمسلمين، و تطورت فيما بعد لتسجيل عظماء الأمة فإن الفن اتسع اتساعا كبيرًا مع تطاول الزمان و مع امتداد الحضارة الإسلامية و انبساط أفاقها فنتاما ليشمل الشخصيات الفاعلة و المؤثرة في شتى الميادين، و لا غرابة في أن تتأكد العناية بالكتابة في هذا الفن النثري و يزدهر التأليف فيه في المشرق و المغرب بالمقدار الذي امتلأت به القناطر و الخزائن و تراكمت الآثار و الأعمال في مختلف عصور الحضارة الإسلامية إلى أن غدت هذه الأمة في طليعة الأمم التي اهتمت اهتمامًا واضحًا بتخليد النابهين و المبرزين في تاريخها بكتابة تراجمهم و سيرهم ⁽²⁾.

¹ - [http :www .Diwanalarab.com/spin.php](http://www.Diwanalarab.com/spin.php) 14819-22 K similar papas.

² - محمد مسعود جبران، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب (المضامين و الخصائص الأسلوبية)، دار المدار الإسلامي، ط1، ج1، 2004م، ص(269).

أما الاعتراف الذي يصيب حقائق الحياة الذاتية في السلوك العام، و الحياة الخاصة فشيء قلما يصيبه المرء في هذه السير الذاتية أو المذكرات و اليوميات، و لذلك نرى ابن حازم الأندلسي فداً في تلك النتف الاعترافية ضمنها كتابه " طوق الحمامة " و هو زعيم مذهب واخو تشدد بالغ في النظرة الدينية و مع ذلك نجده يقول : ((و عني أخبرك أنني أحببت في صبايا جارية لي شقراء الشعر، فما استحسنت من ذلك الوقت سوداء الشعر، و لو أنه على الشمس، أو على صورة الحسن نفسه و أني لأجد هذا في أصل تركيبي من ذلك الوقت لا تواتيني نفسي على سواه، و لا تحب غيره البتة، و هذا العارض بعينه عرض لأبي رضي الله عنه، و على ذلك جرى إلى أن وافاه الأجل)) . و يتعمق ابن حازم استبطان أحواله النفسية في بعض مذكراته كأن يقول: ((وعني أخبرك أنني ما روية قط من ماء الوصل، و لا زادني إلا ظمأ و لقد بلغت من التمكن بمن أحب أبعد الغايات التي لا يجد الإنسان وراءها مرمى، فما وجدتي إلا مستزيداً و لقد طال بي ذلك فما أحسست بسامة، و لا أرهقتني فترة، و لقد ضمنني مجلس مع بعض من كنت أحب فلم أجد خاطري في فن من فنون الوصل إلا وجدته مقصراً عن مرادي، و غير شاف، و جدي، و لا قاض اقل لبانة من لباناتي، و وجدتي كلما ازددت دنوا ازدادت و لوعا)) .

و يتدرج من هذا التعميم أحيانا إلى التفصيل الدقيق للحادثة الواحدة فيعرضها في صراحة قل أن تجد لها مثيلاً، و لكن مما قلل من صراحته في الكتاب انه لم يستطع أن ينسب كثيراً من الوقائع إلى نفسه فاكتفى بالتلميح أحياناً، و كنى عن أسماء الأحياء مراعاة لمشاعرهم، و فاته كثير من الذكريات لأنه كان كما قال : « فأنت تعلم أن ذهني متقلب، و بالي مهصر بما نحن فيه من نبو الديار و الجلاء عن الأوطان و تغير الزمان و نكبات السلطان و تغير الإخوان و فساد الأحوال، و تبدل الأيام ... »

و لم يكتب احد في موضوع الحب كتابة قائمة عن التجربة و المشاهدة و الاعتراف و بعض التعمق النفسي مثلما فعل ابن حزم الأندلسي، و لو أنه مزج كتابه بأشعاره الكثيرة و التزم فيه تقسيمات مصطنعة لا ستوفى المتعة الصحيحة، و ما قصر عن الغاية.⁽¹⁾

و قد كان أكثر كتاب السيرة الأولين من أهل المدينة لأن أكثر أحداث السيرة من تشريع مدني، و مغازي النبي صلى الله عليه و سلم و من الكتب الأولى للسيرة سيرة ابن هشام و سيرة ابن سعد⁽²⁾.

و من أبرز المحاولات ذات الطابع السيرى "حياة الرافي" للعريان، و "العبقريات" للعقاد "سيرة ابن طولون" لصاحبها أحمد يوسف بن الداية (القرن الثالث الهجري)، و سيرة "السلطان محمد الغزنوني"، و اسمها اليميني للمؤلف أبو النصر العتبي (القرن الخامس الهجري)، و سيرة "منصور الأندلس" لعلي أدهم، و سيرة "جبران" لميخائيل نعيمة، و غيرها من السير .

فالأدب العربي أصبح زاخرا بهذا النوع من الأدب، و السبب في ذلك راجع إلى القراء الذين يتلهفون إلى معرفة تاريخ الشخصيات المهمة في عصرهم، أو في العصور التي سبقتهم.

و لعل أول سيرة ذاتية ظهرت في العصر الحديث⁽³⁾ هي كتاب "الساق على الساق فيما هو الفرياق" للشيخ أحمد فارس الشدياق، و فيها حديث عن تنقل الشدياق و بعض أحواله، و لكن هذا كله غارق في غمار الاستطرادات و المترادفات اللغوية و في السخرية و المجون و هما من أبرز خصائص الكتاب، و مما يميز الشدياق رحابة صدره لتلقي المدينة الحديثة و نظرته إلى المرأة و سخريته برجال الدين و نقده لبعض العادات عند الغربيين و الشرقيين على السواء، و لكن غرامه باللغة و انقياده لطبيعة المقامة و إسرافه في التورية و التلميحات الجنسية كل هذه تفسد عليه الاسترسال و تعرقل المتعة في السرد.

¹ - إحسان عباس، فن السيرة، دار الشروق. عمان، الأردن، ط1، 1996، ص(112 ، 113).

² - أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، ط10، بيروت، لبنان، دت، ج2، ص(338).

³ - إحسان عباس، فن السيرة، ص(130، 131).

حقاً أن الشدياق كان سباقاً لأوانه في نفاذ نظرتة مشرفاً كالعملاق الساخر على عيوب عصره متحدياً بالقدرة اللغوية اليازجي، و من نسج اليازجي على منوالهم كل هذا موطن للإعجاب، و لكن حين نضع بكتابه إلى جانب الأيام، و اعترافات روسو فإننا نفترض أنه سيرة ذاتية مكتملة و في هذا إسراف في التقدير لأن الجوانب الخيالية، و الشاهد المصنوعة فيه تربو بكثير على الأمور الواقعية كما أن الاستطراد في اللغة و النقد و السخرية و الحوار المصنوع كل هذه تخرجه عن أن يكون سيرة ذاتية بالمعنى الفني .

و لذلك نرى أن "الأيام" في السيرة الذاتية الحديثة مكانة لا تتناول إليها أي سيرة ذاتية أخرى في الأدب العربي، و خاصة الجزء الأول منه لمزايا كثيرة منها : تلك الطريقة البارعة في القص، و الأسلوب الجميل، و العاطفة الكامنة في ثناياه المستعلنة أحيانا حتى تطغى على السطح، و تلك اللمسات الفنية في رسم بعض الصور الكاملة للأشخاص، و القدرة على السخرية اللاذعة في ثوب جاد حتى تظهر، و كأنها غير مقصودة.

و أما ما ظهر لنا من ملامح للسيرة الذاتية في الأدب الجزائري ما تجمعت لدينا من المقالات كانت ذاتية كتابها، واضحة كأقوى ما يكون الوضوح و أشده فارتأينا أن نعرض لها في هذا المدخل العام الذي وضعناه لهذه الغاية - على قلة مادة هذه المقالات - حتى نكون قد ألممنا بمعظم الفنون النثرية - كفن السيرة مثلاً - التي عرفت في بدايتها في الجزائر .

و من الكتاب التي لا تخلوا كتاباتهم من " سيرة ذاتية " بعض مقالات (1):

- ✓ محمد البشير الإبراهيمي .
- ✓ أبي مدين الشافعي .
- ✓ إسماعيل العربي .
- ✓ عثمان سعدي .

¹ - عبد المالك مرتاض، الفنون النثرية في الأدب الجزائري، مطابع مؤسسة الكرامة، عمان، 1983، ص(300).

و قد عالجت هذه الكتابات كلها ذكريات الماضي، و قد عالجها هؤلاء الكتاب بأسلوب ذاتي صادق، معبر، دافئ .

الفصل النظري

مفاهيم عامة حول فن السيرة

الفصل الأول: مفاهيم عامة حول فن السيرة .

I- مفهوم فن السيرة:

اختلفت الأجناس الأدبية باختلاف الأسباب التي دفعت إلى ظهورها، و من بين هذه الأجناس الأدبية " فن السيرة "، التي لها جذور ضاربة في أعماق تراثنا العربي، و لهذا اهتم الباحثون و اللغويون بمحاولة ضبط مفهومها من الناحية اللغوية، و الاصطلاحية حيث تعددت التعريفات، و اختلفت باختلاف وجهات نظر الباحثين، و اللغويين .

فمن الناحية اللغوية: تعرف السيرة عند ابن منظور : « السيرة، السنة. و قال أبو عبيد : سار الشيء، و سِرَّه، فَعَمَّ، و السيرة، الطريقة يقال : سار بهم سيرة حسنة، و السيرة الهيئة، و في التنزيل العزيز: {سُنْعِيذَهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} }، و سَيَّرَ سِيرَةً، حَدَّثَ أَحَادِيثَ الْأَوَائِلِ. (1) »

و في المعجم العربي الأساسي : « سار، يسير : مشى، و سار سيرة حسنة : سلك سلوكًا حسنًا » (2).

أما في قاموس المحيط : « السيرة، و الطريقة، و الهيئة، و الميزة » (3).

و السيرة الاسم من سار، و السنة، و الطريقة، و المذهب، و الهيئة، و السيرة ج سَيْرٍ، و يقال سار بهم سيرة حسنة.... و قولهم تنشر الملائكة سيرته، أي صحيفة أعماله و طاعاته...

و سيرة الإنسان، كيفية سلوكه بين الناس، فيقال فلان حسن السيرة، و منه قولهم من طابت سيرته حُمِدَتْ سيرته. و السيرة تطلق على القصة عند العامة، و من ذلك قولهم سيرة عنتر، و سيرة الملك سيف، و نحو ذلك. و السيرة، و السيار: الكثير السير. (4)

1 - ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط3 ، 1999م ، المجلد7، ص(454).

2 - المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة ، د.ط ، د.ت ، ص(251).

3 - الفيروز أبادي أبي الطاهر محي الدين بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم ابن عمر الشيرازي ، قاموس المحيط ، بيت الأفكار الدولية ، ط4، بيروت لبنان ، 2004م ، ص(870).

4 - بطرس البستاني ، محيط المحيط ، مطابع تيبو- بريس ، بيروت ، لبنان ، 1987م ، ص(422).

والسيرة اصطلاحًا : « نمط سردي حكائي ينظم في فضاء زمكاني محدد، يتولى فيها الراوي ترجمة حياة ذات خصوصية إبداعية في مجال حيوي، أو معرفي فيها من العمق، و الغنى ما يستحق أن يروي ليقدّم تجربة يمكن أن تثري القارئ، و تخصب معرفته بالحياة من خلال الاطلاع عليها و الإفادة منها و إطرء الحياة المرشحة لترجمة سيرتها، و تفرداها ليس كافيًا لإنتاج سيرة يمكن أن تنظم بجدارة إلى ميدان هذا الفن السردى، إذ لا بد للكاتب الذي يتولى المهمة أن يتمتع بقابليات سرد فنية عالية تؤهله لإنجاز عمل فني سردي تتمثل فيه عناصر السرد الرئيسية، و شروطه التعبيرية، و الأسلوبية ((1).

و هي أيضا في هذا التعريف نجدها عبارة عن سرد حكائي يقوم على تصوير حياة شخص ما، و إعادة الماضي، و بعث الحياة و الحركة و الحرارة في تصوير الأحداث و التجارب الشخصية من أجل إثراء القارئ بها و الإفادة منها .

و هي أيضا : « نوع من الأنواع الأدبية التي تتناول التعريف بحياة رجل، أو أكثر تعريفًا يطول أو يقصر أو يتعمق أو يبدو على السطح تبعًا لثقافة كاتب الترجمة، و مدى قدرته على رسم صورة واحدة دقيقة من مجموع المعارف، و المعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم له ((2).

كما أنها : « نوع من الأدب يجمع بين التحري و التاريخي و الإمتاع القصصي، و يراد به دراسة حياة فرد من الأفراد، و رسم صورة دقيقة لشخصيته ((3).

فهي جنس أدبي يستمد مادته من الواقع المعيش، و من التاريخ ليعبر عنها بصورة فنية تعطيها أبعاد تقنية، و فنية يصبغها عليها الأديب من خلال تجاربه، و مقدرته الإبداعية . و ليس فن السيرة من مبتكرات عصرنا الحاضر ، بل هو عريق في القدم عرفه العرب منذ صدر الإسلام، و اقبلوا عليه أيما إقبال، فكان لنا منه على توالي الأجيال عدد

1 - محمد صابر عبيد ، السيرة الذاتية الشعرية ، قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية ، عالم الكتب الحديث ، ط1 ، 2007م ، ص(109).

2 - محفوظ كحوال، الأجناس الأدبية النثرية و الشعرية، دار نوميديا للنشر و التوزيع، د.ط، 2007م، ص(57).

3 - أنيس المقدسي، الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، ط5، 1990م، ص(547).

وافر من المؤلفات يملأ بعضها مجلدات كبيرة، و منها العام أي الذي يتناول أشخاص كثيرين ككتاب الطبقات لابن سعد (220هـ)، و كتاب الأغاني لأبن فرج الأصفهاني (256هـ)، و معجم الأدباء لياقوت الحموي (626هـ)، و وفيات الأعيان لابن خلكان (681هـ)، و أمثالها .

و منها الخاص كالسيرة النبوية لابن هشام نقلا عن ابن إسحاق (156هـ)، و الأنصاف و التحري لابن العديم (660هـ)، و الصبح المنى للبديعي (1073هـ)، و ما جرى مجراها مما يدور على شخص واحد فالعام لفظة كتب الترجمة، و الخاص كتب السيرة .

و قد استخدم العرب كلمة سيرة، و كلمة ترجمة بمعنى واحد، و إن كانت السيرة هي الأسبق في الاستخدام، و قد عرف العرب فن السيرة، و أول ما عرفوه عن السيرة النبوية فقد تناولت سيرته عليه الصلاة و السلام التاريخ لأفعاله، و أقواله، و مغازيه و قد ظلت السيرة عصورا يقتصر استعمالها على بيان حال الرسول صلى الله عليه و سلم، ثم تطور الاستعمال في عصور تالية، فاستعملت بمعنى حياة الشخص بصفة عامة بدليل ما يذكره صاحب كشف الظنون من ظهور سير كثيرة من القرن الرابع الهجري كسيرة "أحمد بن طولون" لابن الداية (ت 334هـ) و سيرة "صلاح الدين" لابن شداد (ت 622هـ) أما كلمة ترجمة فقد دخلت العربية عن اللغة الآرامية، و لم تستخدم في القرن السابع الهجري، و على مر العصور نرى كلمة ترجمة يجري الاصطلاح على استعمالها لتدل على تاريخ الحياة الموجزة للفرد، و كلمة سيرة يصطلح على استعمالها لتدل على التاريخ المسهب للحياة⁽¹⁾ .

و كذلك هناك فروق أخرى بين السيرة التاريخية، و الترجمة الأدبية، و إن كانت المادة الخام بينهما واحدة، فالسيرة تعنى بسرد الحوادث و الوقائع و تحترم النص و لا تغيره، و إن كانت تناقشه كما لا تستطيع أن تكمل الحلقات الناقصة في تاريخ إنسان عظيم إذا ما أهملها الرواة، و أهل الأخبار .

¹ - شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، رؤية نقدية، د.ط، د.ت، ص(26).

أما الترجمة الأدبية فهي تتطلب من الأديب أن يصهر تاريخ الإنسان الذي يترجم له في نفسه، و يقدم لنا تجربة نفسية متصلة الحلقات، و إن كانت غير كاملة في الواقع بالإضافة إلى اعتمادها على الأسلوب الأدبي الذي تتطلبه كل الأعمال الفنية في الأدب . و من المفيد هنا أن نذكر رأي بود لير الذي يوضح هذه الحقيقة فهو يرى: ((إن العبقرية الأدبية عبقرية مدركة واعية تعتمد على العقل كما تعتمد العبقرية العلمية تماما، غير أنها تمتاز على الطريقة العبقرية العلمية بأنها قادرة على اكتشاف العلاقات بين المشاعر، و الأشياء، و بعضها في نطاق أشمل، و أوسع من النطاق الذي تعمل فيه العبقرية العلمية))⁽¹⁾.

فالسيرة أشمل من الترجمة فهي تتطرق لحياة شخص، أو مجموعة من الأشخاص من جميع النواحي بشكل موسع، أما الترجمة فهي تتطرق لحياة فرد من الأفراد أو جماعة بطريقة موجزة و مصغرة.

¹ - طه وادي ، هيكل رائد الرواية و السيرة و التراث ، دار النشر للجامعات ، القاهرة، ط2 1996م ، ص(138).

II- أنواع السيرة.

بقدر ما تنوعت السيرة في تعريفاتها، تنوعت في أقسامها فهي تنقسم إلى قسمين رئيسيين، هما السيرة الذاتية، و السيرة الغيرية (السيرة الموضوعية).

1- السيرة الذاتية:

يعرفها الدكتور يحي إبراهيم عبد الدايم بقوله : ((الترجمة الذاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس من الوحدة، و الاتساق في البناء، و الروح... و... في أسلوب أدبي قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافياً كافياً عن تاريخه الشخصي على نحو موجز حافل بالتجارب، و الخبرات المتنوعة الخصبة، و هذا الأسلوب يقوم على جمال العرض، و حسن التقسيم، و عذوبة العبارات، و حلاوة النص الأدبي))⁽¹⁾

و يعرفها محمد عبد الغني حسن حيث يقول : ((التراجم هي ذلك النوع من الأنواع الأدبية الذي يتناول للتعريف بحياة رجل... تعريف يطول، أو يقصر، و يتعمق، أو يبدو على السطح تبعاً لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة، و تبعاً لثقافة المترجم، أي صاحب الترجمة، و مدى قدرته على رسم صورة كلية واضحة ... و دقيقة من مجموع المعارف و المعلومات التي تجمعت لديه.))⁽²⁾

و عند الدكتور محمد يوسف نجم : ((هذا النوع يقوم على وحدة الحياة، لا وحدة الحادثة، أو وحدة العمل القصصي، أو وحدة التأثير))⁽³⁾

و في دائرة المعارف البريطانية السيرة الذاتية هي⁽⁴⁾ : ((المؤلف "الروائي" الذي يسجل بصورة واعية، و بصيغة فنية الحدث، و يعيد للحياة -الدرامية- لان موضوعها الحياة، و فرع من الأدب يحتوي على تقرير عن حياة أشخاص، و هي صيغة أدبية قديمة))، و يعرفها

1 - يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت ، د.ط دت ، ص(10).

2 - محمد عبد الغني حسن ، التراجم و السير ، دار لمعارف ، د.ط ، 1969م ، ص(09).

3 - شعبان عبد الحكيم محمد ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، رؤية نقدية ، ص(10،11).

4 - المرجع نفسه ، ص(11).

فيليب لوجون بقوله : « سرد استعاري نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، و ذلك عندما يركز على حياته الفردية، و على تاريخ شخصه »، و يعرفها فاييرو بأنها : « عمل أدبي، و بأن هذا العمل قد يكون رواية، أو قصيدة، أو مقالة فلسفية يعرض فيها المؤلف أفكاره، أو يصور إحساسه بشكل ضمني، أو صريح »

كل هذه التعريفات تتلاقى و تتجاوز، و لا تتعارض لتجتمع على أن السيرة الذاتية عمل أدبي من تأليف صاحب السيرة يعرض لسيرة حياته في إطار عصره ربما يطول و ربما يقصر، و هذه الصيغة موجودة منذ القديم فقد حاول بعض القدماء كتابة سيرة أنفسهم فجاء بعضها أشبه بالتاريخ كما هو في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقض، و كتاب ابن خلدون الذي تحدث فيه عن نسبه و نشأته و مشيخته و من خدمهم و عن رحلاته، و يطلق على هذا في اللغات الغربية (Autobiography).

1-1 / أنواع السيرة الذاتية:

و تنقسم السيرة الذاتية بدورها إلى عدة أنواع:

1-1-1 / السيرة الذاتية الشعرية :

سرد نثري يتولى فيه الشاعر تدوين سيرته الشعرية فقط، لا يخرج فيها إلى تناول جوانب أخرى غير شعرية من سيرته، إلا على النحو الذي له صلة ما يدعم قضيته الشعرية في السيرة . و تكتب هذه السيرة عادة في مرحلة يتوجب أن تكون ناضجة من مراحل التطور الحيوي، و الشعري للشاعر (1).

في هذا النوع من السيرة يتحدث الشاعر عن محطات غنية، و خصبة في تجربته الشعرية يعطي صورة عن تاريخ شعره، و جغرافيته، و موقعه، و شهرته في الوسط الشعري، و منهم من يتحدث عن مرحلة معينة من مراحل السيرة يعتقد بأهميتها، و منهم من يكتفي بالحديث عن قصائد معينة .

و تنتوع التسميات التي يطلقها الشعراء على هذا النوع من السيرة فمنهم من يسميها " تجربتي الشعرية "، و منهم من يسميها " قصتي مع الشعر "، أو " حياتي في الشعر " .

2-1-1 / السيرة الذاتية القصصية (2) :

سرد نثري يعتمد فيه القاص على تسجيل سيرة ذاتية خاصة بتجربته القصصية في مرحلة، يعتقد انه وصل فيها إلى درجة معقولة من النضج، و الشهرة، و تأخذه هذه السيرة بحسب رؤية القاص أشكال متعددة في انتخابه للأزمنة، و الأمكنة، و الأحداث التي أسهمت في تكريسها قاصاً، و فتحت له بوابة الفن القصصي .

1 - محمد صابر عبيد، السيرة الذاتية الشعرية. قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة ، ص(110).

2 - المرجع نفسه ، ص(111).

و يمكن أن تتناول السيرة الذاتية القصصية مرحلة قصصية معينة، يعتقد القاص بأهميتها و جوهريتها في تجربته، و ربما يحيط بمجل تجربته القصصية ملما بالمرجعيات المؤسسة و القضايا و المواقف مرورا إلى إبراز مكانته في المشهد القصصي العام .
و للقاص الحرية في اختيار الأسلوب الحكائي المناسب لرؤية سيرته الذاتية القصصية، لأنه معني بذلك مرتين، مرة لأنه حكواتي أصلاً، و مرة لأنه يروي سيرة حياة قصصية مناسبة للحكي، و القص، لذا فإن الاهتمام بلغة السيرة الذاتية القصصية، و العناية بشعريتها بالقدر المعين المكافئ للنوع، و الموضوع، و ضروراته من شأنه أن ينجح في إنجاز نص إبداعي لا يقل شأنًا عن المنجز القصصي .

إن القاص في السيرة الذاتية القصصية له الحرية المطلقة في كيفية كتابة سيرته القصصية ابتداءً بالأسلوب الحكائي المناسب، مرورا إلى العناية بالغة السير الذاتية القصصية، أي أن يجد الألفاظ، و العبارات المناسبة، أو ذات الجانب القصصي التي تجعل النص القصصي ناجحا.

3-1-1 / السيرة الذاتية الروائية:

سرد نثري يتوجه فيه الراوي إلى تقويم سيرتي لتجربته الروائية، يشتمل على نقل حكايته مع الرواية و الكتابة الروائية إلى القارئ، و لا يتحقق ذلك بطبيعة الحال إلا على يد روائي له حضور مؤثر و لافت في ميدان الإبداع الروائي، و له تجربة فيها من الثراء و الخصوصية و السعة ما يؤكد انطوائها على خبرة و عمق و أصالة تدفع القارئ إلى البحث عنها و تشجعه على ارتيادها و الإفادة منها⁽¹⁾ .

و طالما أنها تمثل فرصة لتحدي إبداعي جديد أمام الروائي، فإنه يعمد إلى العناية البالغة لإنجاز نص سيرتي ذاتي، من أجل أن يضمه إلى أعماله الروائية، و يقتصر الروائي في سيرته على دراسة مرحلة معينة من مراحل تجربته الروائية .

¹ - محمد صابر عبيد ، السيرة الذاتية الشعرية . قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة ، ص(112).

3-1-1 / السيرة الذاتية النقدية :

سرد نظري سير ذاتي، يعترم فيه الناقد عرض نظريته، و رؤيته، و منهجه، و فكره النقدي عرضاً تاريخياً تكوينياً يشتمل على بداياته النقدية و صلته المتطورة بمفهوم النقد و درجة حساسيته بالنسبة إلى شخصيته، فضلا عن إبراز السمات الشخصية و الحيوية قدر تعلق الأمر بالمفهوم النقدي، ووظيفته الإنسانية و الفكرية .

و يجري التركيز في السيرة الذاتية النقدية على الجوانب العلمية و الفكرية و الثقافية و الشخصية ذات الصلة بجوهر العملية النقدية و خلفياتها و ظلالها، و يتوجب على الناقد الذي يسعى إلى تقديم سيرته الذاتية في هذا الإطار أن يعي خطورة هذه الكتابة و نوعيتها على النحو الذي يسخر لها أسلوبية كتابية خاصة تتمتع بالنفس الحكائي و الرشاقة اللغوية و الإنسانية التعبيرية الجمالية، و أن لا تقع تحت وطأة الكثافة التعبيرية العالية التي تتسم بها كتابته النقدية⁽¹⁾ .

ففي السيرة الذاتية النقدية يقوم الناقد بعرض نظريته و أفكاره و منهجه النقدي و الإحاطة بكل الجوانب المتعلقة بحياته الشخصية ذات الاتصال بالعمل النقدي، و مدى قبول نفسه و توافق شخصيته مع هذا العمل النقدي، هل يجد متعة في ذلك؟، و ما هي أهم المواقف و الأحداث التي جرت في حياته؟، و لكن دون الخروج عن نطاق حياته النقدية بأسلوب خاص خالي من التكلف يتمتع بنفس حكائي لغوي فصيح، و رشيق، و أسلوب تعبيرى جميل يجذب من خلاله القارئ، و يحافظ على استمرارية القراءة و متابعتها للأحداث، و أن لا يشعره بأنه أمام نص نقدي تتضارب و تتجاذب فيه الأفكار و الأحداث لان النص السير الذاتي النقدي نص مختلف عن النص النقدي - شكلا و وظيفة - فضلا عن مهمته في الكشف عن رؤية الناقد و منهجه و فكره و أسلوبه .

¹ - المرجع السابق ، ص(113).

من خلال ما تطرقنا إليه لاحظنا أن السيرة الذاتية متنوعة فقد كثرت مجالات كتابتها، و هذا إن دل على شيء إنما يدل على أن مجال السيرة الذاتية رحب و واسع فقد لاقى اهتماماً كبيراً من طرف الشعراء و الرواة و النقاد و القصاصين، و ذلك من خلال كتابة سير في مجال عملهم فمنهم من يكتب سيرته الذاتية الشعرية، و منهم من يكتب سيرته الذاتية القصصية، و آخر يكتب سيرته الذاتية الروائية، و آخر يكتب سيرته الذاتية النقدية، فكل واحد من هؤلاء تخصصه و ميوله الأدبي، و لكل واحد طريقته و أسلوبه في التعبير فإن اعتمد أسلوباً فصيحاً رشيقاً و تعبيراً جميلاً خال من التكلف لاقى سيرته ترحيباً لدى القارئ و رواجاً في الساحة الأدبية، و نظر إليه بمنظار الكاتب الناجح .

1-2 / أسباب كتابة السيرة الذاتية:

إن كاتب السيرة الذاتية يهدف من وراء كتابة سيرته إلى إثبات الذات، و تمجيد تاريخ نضاله في الحياة، أو تنفيهاً عن ثورة عارمة انتابته أو حالة نفسية طارئة أو مبدأ من المبادئ و قضية من القضايا التي تتبع من ظروف و حياة صاحب السيرة الخاصة و غيرها من الأهداف نذكر فيما يلي (1) :

+ التبريرية :

و هي التي يدافع فيها أصحابها أو يعتذرون فيها عن أفعال قاموا بها لم يفهمها العامة من الشعب كما فعل ابن خلدون في التعريف بابن خلدون و رحلته شرقاً و غرباً .

+ الرغبة في اتخاذ موقف ذاتي من الحياة :

و اصدق الأمثلة لهذا النوع من السير التي صورت مذهباً خاصاً أو سلوكاً بعينه لصاحبه، مثل " النصائح الدينية " للحارث المحاسبي، و " المنقذ من الضلال " للغزالي وسيرة ابن الهيثم التي احتفظ بها ابن أبي أصيبعة في كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء)

+ التحقق من ثورة أو انفعال:

و أوضح مثال لذلك ما ورد في سيرة أبي حيان التي سجلها في الإمتاع و المؤانسة، و في رسالة الصداقة، و الصديق فقد أفصح عن ثورة نفسية على بيئته و مجتمعه.

+ تصوير الحياة المثالية:

و هي السيرة التي كتبت عن حياة صاحبها كي يجتذبها الناس لما تمثله من خبرات روحية و خلقية و فكرية مثلما فعل عبد الرحمان بن الجوزي في كتابه (لفتة الكبد في نصيحة الولد)، و عبد الوهاب الشعراني في (لطائف المنن).

1 - شعبان عبد الحكيم محمد ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، رؤية نقدية ، ص(26،27).

✚ تصوير الحياة الفكرية :

و هذا النوع الذي يعتمد فيه الكاتب إلى تسجيل كل ما أثر في تكوينه العقلي و تطوره الفكري (من كتب و أساتذة) كما فعل البيروني، و ابن الهيثم، و الرازي، و السخاوي، و ابن طولون (في الفلك المشحون في أحوال ابن طولون)

✚ الرغبة في استرجاع الذكريات :

و من أمثلتها في الأدب الغربي (مذكرات ميرابو، و مذكرات كازنوفا)، و في الأدب العربي القديم كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ الذي قدم فيه تصويرًا حيًا لشخصية الفارس الجسور، و كتاب (طوق الحمامة في الألفة و الآلاف) لابن حزم، الذي يعرض فيه لذكريات شبابه.

✚ الصنف الإخباري:

و هو الذي يعنى بتجارب الشخص كسيرة الجاحظ، و ابن حيان، و الصفدي، و الصولي، و الصابي، و غيرهم حيث يتحدثون عن أنفسهم .

✚ الصنف الذي يقص المغامرات :

و هي تعني بتجارب صاحب السيرة في الحياة المليئة بالمغامرات و التجارب كما فعل أسامة بن منقذ في كتاب "الاعتبار" (1).

و قد دل الاستقصاء على أن الحرب العالمية الثانية كانت خصبة وافرة الحظ من السيرة الذاتية، و أن الكتاب كانوا على استعداد لتحقيق ذاتياتهم و أنه كانت للقراء رغبة للهرب من الحاضر إلى ذكريات الماضي و خاصة بين الكبار الذين منعتهم شيخوختهم من الاشتراك في الحرب يقودنا هذا إلى التساؤل لنعرف متى يكتب الكاتب سيرته الذاتية فتعيين هذا قد يساعدنا على فهم الغايات التي تكتب السيرة الذاتية من أجلها. (2)

1 - فواز الشعار، الأدب العربي، دار الجيل، د.ط، د.ت، بيروت، ص(178).

2 - إحسان عباس، فن السيرة، دار الشروق، عمان، ط1، 1996م، ص(94).

فالسيرة بوجه عام و السيرة الذاتية بوجه خاص⁽¹⁾ تتناول جانبا من الأدب العربي عامراً بالحياة نابضا بالقوة و أن هذا اللون من الدراسة يصل أدبنا بتاريخ الحضارة العربية و تيار الفكر العربي و النفسية العربية لأنه صورة للتجربة الصادقة الحية التي أخذنا نتلمس مظاهرها المختلفة في أدبنا عامة فنجدها واضحة في الفهم النفسي و الاجتماعي عند الجاحظ و ابن حيان، و ابن خلدون، و نلقاها في رحلة ابن جبير، و أحسن التقاسيم و صورة الأرض، و نستقرئها في سخرية المازني، و الشدياق، و ثورة جبران، و المعري .

إن من خلال كل هذا نستنتج أن لكل سيرة ذاتية هدف و غاية بعضها تذكر من طرف صاحبها، و البعض الآخر يفضل صاحبها عدم ذكرها، بل تترك القارئ يستشفها استشفافاً وراء الأحداث و الموقف فكل ما ذكرناه سابقاً، قد تكون رغبة في الترفيه عن النفس، و التخفيف من ثورة، أو انفعال، و رغبة في استرجاع الذكريات إلى آخر ذلك من الأهداف و الغايات .

¹ - المرجع السابق ، ص(05).

3-1 / بعض المؤلفات في السيرة الذاتية:

- ❖ " سبعون " لميخائيل نعيمة.
 - ❖ " حياتي " لأحمد أمين.
 - ❖ " الأيام " لطفه حسين.
 - ❖ " أنا " للعقاد.
 - ❖ " عينان على الطريق " لعبد الله الطوحي.
 - ❖ " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " رفاة الطهطاوي .
 - ❖ " الساق على الساق " لـ أحمد شوقي .
 - ❖ " زهرة العمر " لـ توفيق الحكيم .
 - ❖ " النصائح الدينية " لـ الحارث المحاسبي .
 - ❖ " المنقذ من الضلال " لـ الغزالي .
 - ❖ " لفنة الكبد في نصيحة الولد " لـ عبد الرحمان بن الجوزي .
 - ❖ " لطائف المنن " لـ عبد الوهاب الشعراني .
 - ❖ " الاعتبار " لـ أسامة بن المنقذ.
 - ❖ " طوق الحمامة في الألفة و الآلاف " لـ ابن حازم .
 - ❖ " قال الراوي " لـ إلياس فرحات .
 - ❖ " قصة حياتي " د. مصطفى الديواني .
 - ❖ " مذكرات طالب بعثة " د. لويس عوض .
 - ❖ " حياتي " لـ توفيق الحكيم .
 - ❖ " قصة حياة " لـ إبراهيم عبد القادر المازني .
- هذه المؤلفات و غيرها التي لا تعدو و لا تحصى في فن السيرة الذاتية .

2 - السيرة الموضوعية (الغيرية):

الشكل الآخر من أشكال السيرة و فيه يتطوع الراوي السيري الغيري لرواية حياة إبداعية في مجال حيوي و معرفي معين لشخصية منتخبة يعتقد بأهميتها و ضرورتها و خطورتها فضلاً عن صلاحيتها للتقديم، فيذهب إلى قراءة الشخصية قراءة مستفيضة و حشد كل ما هو ممكن من معلومات حولها وصولاً إلى خلق إحساس عال بها يساعده في تلمس خفاياها و الكشف عن باطنيتها، على أن لا تتحول الشخصية إلى أنموذج ضاغط بعد الرواية عن الروح الموضوعية للسرد، إذ يتوجب أن يكون عنصر التوازن و الشفافية في مقدمة العناصر المشتغلة و الفاعلة في مسيرة البناء السيري الغيري⁽¹⁾.

ففيها يترجم الكاتب لشخصية غير شخصيته سواء كان ذلك في حياتها أم بعد، و لا بد أن يفهم الكاتب الشخصية التي يكتب عنها في البيئة و الزمان اللذين عاش فيهما⁽²⁾. فكاتب السيرة يسعى لعرض سيرة شخصية من الشخصيات تكون لها أهمية في الحياة فبعرض كل مراحل حياتها بجميع مجالاتها، وهو حرفي التلاعب بالأزمنة و الأمكنة التي عاشت فيها هذه الشخصية، و أن يكون صادقاً و دقيقاً عند نقله للمعلومات الخاصة بالشخصية المراد الكتابة عنها .

و المعروف أن أول ما ظهر في أدبنا، هو السيرة النبوية و قد تلاها على مر العصور كتب كثيرة تناولت حياة بعض الأعلام من أولي الأمر أو من أهل الأدب⁽³⁾.

¹ - محمد صابر عبيد ، السيرة الذاتية الشعرية . قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة ، ص(120).

² - WWW.izzatomar.com/...index.php?.....viewarticlecartid.

³ - أنيس المقدسي ، الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية ، ص(553).

2-1 / أنواع السيرة الموضوعية :

تنقسم السيرة الموضوعية إلى عدة أقسام

2-1-1 / السيرة الغيرية الشعرية :

سرد نثري يتولى فيه الكاتب تدوين السيرة الشعرية لشاعر منتخب يقتصر فيها على سرد الحياة الشعرية بكل متعلقاتها التاريخية و الحديثة و المكانية مع إغفال التطرق إلى الجوانب السيرية الأخرى في حياته إلا بالقدر الذي يسهم في إغناء سيرته الشعرية و إيضاحها، و لذا يشترط في مثل هذه السيرة المنتخبة أن تكون ثرية و خصبة لها تاريخ حافل، و انجازات مهمة تغري الكاتب بكتابتها كما تغري القارئ بمتابعتها و الإفادة من تجاربها في ميدانها الفني المخصوص . و هي تختلف عن السيرة الذاتية الشعرية في أنها تكون أقل حماساً في الدفاع عن النموذج الشعري كما تتسم بموضوعيتها، لكنها في الوقت ذاته تحرم من بعض الإنبثاقات الذاتية الخلاقة التي لا يمكن أن تخرج لا من داخل الشاعر ذاته في التعبير عن بعض إشكاليات تجاربه الشعرية، كما هو الحال في السيرة الذاتية الشعرية فضلا عن أن لغة و أسلوبية التعبير السردية و طرائق استرجاع صورة الذاكرة اقل إشراقاً، و طرفاً، و شاعرية من السيرة الذاتية الشعرية.⁽¹⁾

يهتم كاتب السيرة الغيرية الشعرية بكتابة سيرة شاعر من الشعراء، فيتطرق إلى كل المحطات المهمة التي مر بها في حياته و قد يستفيد من بعض مستندات و مدونات الشاعر (شهادات، مقابلات، حوار، مقالة...) لتسخيرها في سيرته.

¹ - محمد صابر عبيد ، السيرة الذاتية الشعرية .قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة ، ص(121).

2-1-2 / السيرة الغيرية القصصية :

سرد نثري سييري غيري يذهب فيه الكاتب إلى تسجيل سيرة غيرية قصصية لقاص منتخب يعمد فيها إلى تخصيص سرده السييري في الحياة القصصية للقاص بمرجعياتها و إشكالاتها من دون الغوص في سيرة حياة القاص عامة، إلا ضمن الحدود المقيدة لسيرته القصصية .

و بوسع الكاتب تسخير كل المدونات و المستندات و المعلومات التي يتفوه بها القاص أو يصرح بها أو يسجلها لخدمة التشكل السييري الغيري القصصي من أجل الوصول به إلى مثل صورة ممكنة، و للكاتب الحرية في اختيار الوضع السير غيري القصصي من حيث الترتيب التاريخي و المكاني و الحدثي من دون الإخلال بالنسق السييري في شكله العام، و حسب أهمية كل مرحلة من مراحل تطور سيرته القصصية، و خطورتها في سياق حضوره في المشهد القصصي العام⁽¹⁾ .

فكاتب السيرة القصصية الغيرية يتطرق لحياة أحد القصاصين كلما بكل ما هو مهم في حياته بالاستناد إلى المعلومات و المدونات الخاصة بالقاص .

2-1-3 - السيرة الغيرية الروائية:

سرد نثري سير غيري يتطوع فيه الكاتب لتقديم سيرة روائية لروائي منتخب يعتقد بأهميته الإبداعية في مجال الإبداع الروائي و باتساع تجاربه الروائية على النحو الذي تكون فيه مؤهلة لان تروى بما تتطوي عليه من خصب و عمق و ما تتكشف عنه من دروس فنية في خصوصيات الفن الروائي، تحرض المتلقين بمختلف شرائحهم على متابعتها و التزود من ثرائها و معارفها الفنية .

يسخر الكاتب كل ما يتعلق بالراوي من وثائق و مدونات من أجل أن توفر له معلومات دقيقة تسهل عملية إنجاز سيرته مقتصرًا في ذلك على المعلومات و البيانات المهمة و

¹ - المرجع السابق ، ص(122).

الخاصة بعمله الروائي فيسجل حياته الروائية من البيانات الأولى، وصولاً إلى أعلى مراحل النضج التي وصلها .

2-1-4- السيرة الغيرية النقدية:

سرد نثري غيري ينتخب فيه الكاتب ناقدًا متميزًا يمتلك حضورًا بارزًا في الساحة النقدية و تصلح تجاربه النقدية لأن تروى رواية سيرية، يمكن أن تحقق المتعة و الفائدة لجمهور المتلقين إذ يقوم بحشد المعلومات التاريخية و الفنية عن السيرة النقدية للناقد و التركيز على صورة الحياة النقدية له .⁽¹⁾

كذلك كاتب السيرة النقدية مثله مثل أصحاب السير الأخرى يعتمد على المستندات و المعلومات الخاصة بالناقد، فيقوم بالإحاطة بكل الجوانب المتعلقة بحياة الناقد ذات الاتصال بالعمل النقدي و عرض نظرياته و أفكاره و منهجه النقدي بأسلوب سييري، و لغة سرد فيها من السهولة التعبيرية و الرشاقة ما يغري متابعتها، و الاستمتاع بإشراق السرد السييري فيها. إن السيرة الموضوعية تشبه السيرة الذاتية من حيث التفرع فهي تنقسم إلى عدة أقسام و قد كثرت مجالات كتاباتها، و هذا يدل على أن مجال هذا النوع واسع و مهم من طرف الكاتب، و ذلك من خلال كتاباتهم فمنهم من يكتب سير عن الشعراء، و منهم من يكتب عن الرواة، و منهم عن القصاصين، و منهم عن النقاد متبعين في ذلك أسلوبًا أدبيًا بلغة فصيحة، و تعبير جميل خال من التكلف من أجل أن تلقى سيرهم إقبالًا كبيرًا من طرف القراء .

¹ - المرجع السابق، ص(122،123).

2-2 / بعض المؤلفات في السيرة الموضوعية:

- ❖ " ابن المقفع " لـ عبد اللطيف حمزة .
- ❖ " أبو نواس " لـ عمر فروخ .
- ❖ " الأصمعي " لـ عبد الجبار جومرد .
- ❖ " الحسن البصري " لـ إحسان عباس .
- ❖ " أمين الريحاني " لـ محمد علي موسى .
- ❖ " باحثة البادية " لـ مي زيادة .
- ❖ " بطلة كربلاء " لـ بنت الشاطئ .
- ❖ " الجاحظ " لـ شفيق حيري .
- ❖ " إبراهيم الحوراني " لـ كمال اليازجي .
- ❖ " خليل مطران " لـ علي أدهم .
- ❖ " رابعة العدوية " لـ وداد سكاكني .
- ❖ " شكيب أرسلان " لـ سامي الدهان .
- ❖ " صاحب الاغاني " لـ محمد أحمد خلف الله .
- ❖ " العبقريات " لـ عباس العقاد .
- ❖ " عمر بن ابي ربيعة " لـ جبرائيل جبور .
- ❖ " فارس الشدياق " لـ مارون عبود .
- ❖ " قاسم أمين " لـ أحمد خاني .
- ❖ " مالك بن أنس " لـ أمين الخولي .
- ❖ " محمد عبد " لـ عثمان أمين .
- ❖ " جمال الدين الأفغاني " لـ أبو ربه .
- ❖ " محمد علي " لـ شفيق غريال .

- ❖ " محمد النبي " لـ حسين هيكل .
- ❖ " عبد القادر المغربي " لـ محمد طلس.

III- الفرق بين السيرة الذاتية و الموضوعية:

إن بين المتحدث و كاتب السيرة الذاتية فرق كبير فالأول لا يزال كلما أمعن في تيار الحديث يثير شكنا و الثاني يستخرج الثقة الممنوحة له منا خطوة اثر خطوة، و لذلك كان الأول شخصاً عادياً أو أقل من العادي في نفوسنا أما الثاني فشيء مغاير له تماماً لاعتقادنا أنه لم يكتب سيرته لملء الفراغ فحسب و إنما كتبها لتحقيق غاية كبيرة أبسطها الغاية التي ذكرها سببها في سيرته و هي أن يجعل كتبه واضحة لمن يقرؤها أو ليعرف الناس بالكتب التي ألفها، و التي يزعم تأليفها.(1)

إن من كل ما تقدم يتبين لنا أنه لمن يكتب لنفسه يعتمد على العنصر الذاتي، بينما السيرة العامة قائمة على الاتجاه الموضوعي (لا بد أن يكون من يكتب سيرة غيره موضوعياً في النظرة إلى صاحبه و إلى الأشياء و الحقائق المتعلقة به، كما لا يمكن أن يكتب سيرة نفسه إلا إن كان يبصر الحقائق المتعلقة بذاته على نحو ذاتي).

و من الملاحظ هنا و ما يحسن التنبه إليه أن يكون الكاتب لسيرته الذاتية موضوعياً في نظرته لنفسه، بمعنى أن يتجرد من التحيز لنفسه و هو يذكر موقفه من الناس و الحوادث. و من خلال التعاريف السابقة التي تطرقنا إليها عن السيرة الذاتية و السيرة الموضوعية لاحظنا وجود اختلاف، و فرق بينهما و يتجلى ذلك فيما يلي :

- يطلق على السيرة الذاتية Autobiography، و على السيرة الموضوعية Biography، فالأولى تعرض لحياة صاحبها فتعكس مشاعره، و عواطفه و مواقفه من الحياة في صورة تستبطن أغوار النفس، و خلجاتها أما الثانية فتعرض لحياة غيرها من خلال الوقائع، و الذكريات، و اليوميات، و المقالات، و الرسائل..... لذا كانت السيرة الذاتية أوغل في الصدق، و أوقع في النفوس لأن مؤلفها صاحبها، فلا يوجد هناك وسيط لعرض أحداث حياته، و آرائه، و مواقفه في الحياة .(2)

1 - إحسان عباس، فن السيرة، دار الشروق. عمان، ط1، 1996م، ص(93).

2 - شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث. رؤية نقدية، ص(13).

- كذلك من أوجه الاختلاف نجد أن السيرة الذاتية تكتب بصيغة المتكلم، و الأخرى بصيغة الغائب، و الأولى نقل مباشر، أما الغيرية فإنها نقل غير مباشر، و ذلك عن طريق الشواهد، و الوثائق ثم أن الصفات التي تجعل السيرة الذاتية ليست هي نفس الصفات التي تجعل السيرة الغيرية عظيمة في رأس تلك الصفات، أن يكون كاتب السيرة موضوعيًا يلمح بسرعة، و يفهم بأحكام، و يلم الحقائق، و يحكم عليها، و يمزجها مزجًا متعادلاً منسجمًا، و يصبغها بأسلوبه، أما كاتب السيرة الذاتية فإنه ذاتي قبل كل شيء، ينظر إلى نفسه، و يسلط أضواء النقد، و دقة الملاحظة على شخصيته، و مترجم غيره يقف موقف الشاهد، لا القاضي. (1)

- كذلك كاتب السيرة الذاتية يتتبع سيرته من الداخل متجهة نحو الخارج، على عكس السيرة الموضوعية فهي من خلال الأحداث التي يمر بها الشخص المترجم له يعرف ما بداخله، و كذا كاتب السيرة الموضوعية يقف كشاهد لا كقاضي، أما السيرة الذاتية فتجمع بين الصنفين، فالأول يحمل الفكرة كما هي لا يزيد و لا ينقص منها أما الثاني فهو حر في تدوين حياته كما يشاء .

- الترجمة الذاتية و إن اشتركت مع الترجمة الغيرية في تصميمها الفني من حيث وحدة البناء و تطور الشخصية و قوة الصراع، إضافة على اعتمادها على الأحداث التاريخية (لحياة صاحبها) و السرد الأدبي ... إلا أن الترجمة الذاتية أكثر صلة و ابعاد أثرًا في نفس المتلقي عن السيرة الغيرية، ذلك أن السيرة الذاتية كاتبها صاحبها يبتاع من ذاكرته و يكتب عما اعتل في نفسه، أما كاتب السيرة الغيرية فهو يعتمد على المذكرات، و الوثائق، و اليوميات، و القراءات الأخرى عن شخصيته، فكاتب السيرة الذاتية يصور مادة متنوعة من ذاته، و كاتب السيرة الغيرية يستنتج من تحليله للوقائع و الأحداث التي وقف عليها عن الشخصية التي يكتب عنها، و كاتب السيرة الذاتية هو صاحب الكلمة الأخيرة في موضوعه

¹ - إحسان عباس ، فن السيرة ، ص(103).

فلا يستطيع احد أن يضيف لمادته شيئاً جديداً، و أما الكاتب الغيري فهو كاتب بين الكثير، و من الممكن أن يضيف إلى موضوعه شيئاً جديداً.⁽¹⁾

صحيح أن السيرة الذاتية تختلف عن السيرة الموضوعية و ذلك لأن السيرة الذاتية نابعة من نفسية صاحبها و هو الذي يتصرف فيها كما يحلو له لكن كاتب السيرة الموضوعية عند كتابته لسيرة الشخص المترجم له فهو مقيد بالأحداث و الانفعالات و كل ما يدور بالمترجم له فلا يستطيع تغيير أو إضافة أي شيء خارج عن سيرته لهذا يختلفان، لكن رغم هذه الاختلافات الموجودة بين السيرتين إلا أن هذا لا يمنع من وجود ارتباطا بينهما و ذلك أنهما يشتركان في أن كلا منهما تمدان بسيرة حياة الرجل العبقري لأنهما يتناولان تاريخ الأفراد، و كلاتهما تطلعان على التطور الخلقى، و العقلي، و العاطفي لصاحبها، و كلاتهما تزيد من ثقافتنا من خلال تعرفنا على شخصيات كنا نجهلها، و لربما نستفيد من تجارب هذه الشخصيات خاصة و أنها مستمدة من الواقع.

¹ - شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث. رؤية نقدية، ص(20).

و هناك أنواع أخرى من السير تختلف كل البعد عن السير السابقة من ذلك مثلاً:

3 - السيرة الذهنية الموضوعية:

حيث أن السارد الكاتب يقوم فيما بترجمة الحياة الشخصية لصديق له يمارس الأدب و يعشقه إلى حد الهوس، و الافتتان، فيركز السارد على الجانب الذهني الثقافي في سيرة صديقه الأديب، فيصف حبه الجنوني للأدب، (و لعل إيمانه على الكتابة، و القراءة، و إسرافه على الانحناء على الكتاب، أو القرطاس هما اللذان شوها قده هذا التشويه)، و يعرض المؤثرات الفلسفية و الفكرية التي أثرت في مفهوم صديقه للأدب، و يستعرض قراءاته للأدب الغربية، و كيف وجهت تفكيره، و شكلت رؤيته الثقافية، و الحضارية لبلاده مصر بحيث أصبح النموذج الثقافي الغربي معياراً مفضلاً لديه للحكم على ثقافة، و حضارة بلاده مصر.

بفعل هذا التداخل الأجناسي يمكن توصيف نص "أديب" بأنه سيرة مركبة، تجمع بين الذاتي، و الموضوعي، و الذهني، و ما يؤكد ذلك، المزوجة بين ضمير المتكلم و ضمير الغائب، و الانتقال من خطاب الذات (الكاتب) إلى خطاب الآخر (الأديب)...على سبيل المثال ((فقد عرفته في القاهرة قبل أن يذهب إلى باريس، ثم أدركته في باريس بعد أن سبقني إليها...))⁽¹⁾

4 - سيرة البلدان :

بالإضافة إلى كتابة السيرة عن الأبطال، و الشخصيات المهمة في الحياة يوجد نوع آخر من السير، و هو سيرة البلدان ففي هذا النوع يتكلم كاتب السيرة عن بلد من البلدان فيؤرخ لهذه البلدان من ذكر أسماء من ولد فيها، أو نشأ بها، أو وفد عليها، أو خرج منها من الأدباء، أو العلماء، و العظماء في كل علم، و فن، و هناك كتب تعالج تواريخ البلدان التي امتلأت بتراجم الرجال، و هو " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي (في القرن الخامس

¹ - محمد بوعزة ، تحليل النص السردي .تقنيات و مفاهيم ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الرباط ، د.ط ، د.ت ، ص(36،37).

الهجري) ، و لقد لاقى هذا الكتاب من الشهرة ما دعا العلماء إلى النسخ على منواله فيما يتصل بالبلدان، و العواصم الإسلامية الأخرى، فنجد ابن عساكر الذي كتب كتابه الضخم " تاريخ دمشق " كذلك نجد كتابًا آخر عن البلدان هو (الإحاطة في أخبار غرناطة) للسان الدين بن الخطيب في القرن الثامن الهجري، و كتاب البلدان لليعقوبي، و تقويم البلدان لأبي الفدا و معجم البلدان لياقوت الحموي و المسالك و الممالك لابن خردادبة .⁽¹⁾

هذا النوع من الكتب اهتم بدراسة البلدان من الناحية الجغرافية، و التاريخية كما اهتم بعرض أهم عاداتها، و تقاليدھا خاصة إن كانت موطنًا لحضارات سابقة، و موطنًا لشخصيات عظيمة ذات فائدة على الأمة، و هناك أيضا من يعرض على الكتابة عن الأنهار، و نجد مثل هذا عند الكاتب إميل لود فيج في كتابه " حياة نهر " .

¹ - ماهر حسن فهمي ، السيرة تاريخ و فن ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1970م ، ص(94،95).

IV- خصائص فن السيرة :

- مما لا شك فيه أن لكل جنس أدبي خصائص تميزه عن غيره من الأجناس الأدبية الأخرى، و من مميزات و خصائص فن السيرة ما يلي :
- قيامها على نمط فني دقيق، وكذا ترتيب الأعلام، و ضبط أسمائهم ثم التحقيق في أنسابهم.
 - إيراد الأحداث وفق التسلسل الزمني حسب ما أوردتها المصادر القديمة و ذلك إذا تعلقت السيرة بشخصية من الماضي.
 - تحري الدقة، و الموضوعية، و الاعتماد على الأدلة، و البراهين القوية.
 - اعتماد العقل، و البعد عن الهوى، و التقيد الصارم بالحقيقة .
 - اتخاذ الأسلوب القصصي الذي يقوم على سرد، و إتباع المنهج المشوق، و اللجوء إلى الحوار إذا اقتضت الضرورة.
 - ضرورة ربط أشخاص السيرة ببيئتهم، و كذا حياتهم السياسية، و الدينية لمعرفة مدى التأثير، و التأثير.
 - الاعتماد على التحليل النفسي لإجلاء المواقف الغامضة، و الوصول إلى الأحكام الحقيقية .
 - عرض الروايات المختلفة إن وجدت مع ترجيح الرواية الأكثر صدقا بالدليل، و البرهنة.(1)
 - انتقاء مواقف الحياة ما فيه من دلالة و عبرة .
 - عرضها على القارئ بطريقة مؤثرة.
 - في السيرة روح الخيال لا يخل بالتاريخ، و إنما يضيف على الأسلوب حيوية، و إثارة و تشويق .(2)

¹ - محفوظ كحوال ، الأجناس الأدبية النظرية و الشعرية ، ص(81).

² - WWW.izzatomar.com/...index.php?.....viewarticlecartid.

V- كتابة السيرة و سبب رواجها :

وصف "لنتون ستراتشي" فن السيرة ذات مرة فقال : ((انه أدق فنون الكتابة طرًا)) فكاتب السيرة مطالب بان يتوخى الدقة و النظام و المنطق في وصفه لهذه النفس البشرية المتأججة و التي يتعذر الإمساك بها، و لكنها تبعث في القلب البهجة حين تتحدى النظام و الدقة و المنطق، و لكاتب السيرة أن يطلق بخياله العنان كما يحلو له، و كلما أمعن في خياله كان ذلك أفضل، و ذلك في طريقة ربطه لمواده بعضها ببعض، و لكن عليه ألا يخلتق مواده و هو مطالب بأن يدرس الماضي، و لكنه أيضا مطالب بأن يدرس الماضي في دور الحاضر و عليه أن يحكم على الحقائق، و لكن عليه أن يتحاشى و أن يجعل من نفسه حكما (1).

على كاتب السيرة أن تكون سيرته دقيقة و صادقة و منطقية و ذلك من خلال تتبع خطوات في كتابتها و هذه الخطوات تتمثل في : اختيار الموضوع المناسب و بعدها البحث في هذا الموضوع، و ذلك بجمع الحقائق الخاصة بالشخصية المدروسة و نقد هذه البحوث و بعد ذلك تحليل الشخصية، و دراسة زمن الشخصية بالتسلسل .

1- الموضوع :

هناك علاقة عامة بين كاتب السيرة و موضوعه، تتحدد منذ البداية فعلى الكاتب أن يختار موضوعه بنفسه فهو مطالب أن يعيش في عصر غير عصره و يتخذ لنفسه شخصية رجل آخر، و هذه الصلة الذاتية تبدأ من اللحظة التي يفكر فيها كاتب السيرة في كتابة سيرة احد الأشخاص و يشعر بميل نحو هذه الشخصية و السبب في ذلك إعجابه بهذه الشخصية أو مؤلفاتها، و في هذا المجال يقول "مورو" في محاضراته عندما ترجم حياة " شيلي " فقال انه وجد في هذا الشاعر مرآة لعواطف شبابه (2).

¹ - إدل ليون ، فن السيرة الأدبية ، ترجمة صدقي خطاب ، مؤسسة الجلي و شركائه، القاهرة ، د.ط ، 1973 م ، ص(09).

² - المرجع نفسه ، ص(18).

كذلك يقول ستراتشي : ((على كاتب السيرة أن يحاول معرفة نفسه قبل أن يسعى إلى معرفة حياة إنسان آخر.))⁽¹⁾

و عليه فإن كاتب السيرة قد يدفعه إعجابه بشخصية ما نحو الكتابة عنها أو ربما وجد نفسه فيها و وجد بعض صفاته التي يتصف بها موجودة في هذه الشخصية قد يكون أعجب بمؤلفاتها و انجازاتها، و لكن ليس لمجرد الإعجاب يتجه كاتب للكتابة عنها دون تسلح، و خبرة مسبقة في هذا الفن الأدبي .

فالسيرة تحتاج إلى الخبرة و دقة الوصف و الذكاء في ربط الأحداث بعضها ببعض و صياغتها في قالب ممتع، و نجد مثل هذا الرأي عند الكاتب ماهر حسن الذي يقول : ((و الحقيقة أن الكثيرين من كتاب السيرة يهجمون على موضوعهم دون خبرة سابقة فمثلهم في ذلك مثل الفتاة التي أرادة أن تعمل مربية للأطفال لا لثقافة معينة أو خبرة مكتسبة، و لكن لمجرد أنها كانت طفلة في يوم ما .))⁽²⁾

و ما يهمنا في هذا الجانب أيضا هو أن نؤكد مدى ولع و اهتمام المؤلف بالموضوع، و ذلك حتى تنمو الشخصية معه و كل شخصية تختلف عن الأخرى فسيرة شاعر تختلف في تنسيقها عن شخصية عالم من العلماء، و من الأحسن كتابة سيرة عن شخص قد فارق الحياة فإن تتخذ شخصية ما تزال على قيد الحياة بطلاً لسيرتك فيه خطورة كبيرة، فقد تخطأ في بعض أحداث حياته كالتاريخ أو المكان و قد تجرحه في قول ما، و قد تذكر حدثاً ربما يسبب له الإزعاج، أو الإحراج أمام الجمهور خاصة، وإن كان معروفاً فلن يسلم من رده، و هجاءه .

¹ - المرجع السابق ، ص(20).

² - ماهر حسن فهمي ، السيرة تاريخ و فن ، ص(56).

2- البحث :

إن المرحلة التي تعقب الموضوع هي عملية البحث، فعندما يفرغ الكاتب من اختيار موضوعه و تحديد شخصية سيرته يشرع في عملية البحث و جمع المادة و المعلومات التي تدور حول هذه الشخصية خطوة، خطوة .

إن متع البحث، و لذت إمطة اللثام عن الوثائق و اكتشاف الأشخاص الذين خلدوا بعد وفاتهم و مازالوا يربطون كاتب السيرة بـماض قريب، كل هذه متع تتصل بفرحة إعادة الخلق في السيرة و لا ينتظر من القارئ أن يشارك فيها .

إن حمس البحث الذي هو من صلب مهمة كاتب السيرة يجب أن يتحول في أثناء كتابة السيرة إلى وصف متزن هادئ .⁽¹⁾

فبعد اختيار الكاتب للشخصية المدروسة فإنه يلجأ إلى البحث و قضاء ساعات طويلة في المكتبات و في مراسلة أناس كثيرين بحثاً عن المخطوطات القديمة في غرف معزولة للوثائق و المخطوطات إضافة إلى إقامة لقاءات مع من ظلوا على قيد الحياة من زوجات، أو أزواج هؤلاء، و من أقاربهم، و قد تكون هذه المادة المتجمعة كبيرة في حجمها و هذا ما نجده عند لوكهارت الذي وجد نفسه مثقلاً بأكوام عندما شرع في كتابة سيرة صهره " سيرولتر سكوت ".⁽²⁾

لهذا نجد بعض الكتاب لديهم الكثير من الوثائق الخاصة بالشخص المراد الترجمة له و نجد آخرون لا يحتوون إلا على عدد قليل من الوثائق، و هذا ما نجده عند " شكسبير " أو "مارلو" نجد الأول، و قد أنقلته الوثائق و أتخمته، يتمنى في بعض الأحيان أن لو كانت وجبته أقل دسامة مما هي عليه فأيهما أشقى بمهمته : أذلك الذي لا يكاد يجد إلا القليل فيسعى إلى جمع الحقائق باستعراض عصر كامل ؟ أم ذلك الذي لا يكاد يرى العصر لأن التفاصيل التي أمامه قد جعلت الرؤية متعذرة ؟

¹ - إدل ليون ، فن السيرة الأدبية ، ص(37).

² - المرجع نفسه ، ص(40).

و يبدو أن حظ الاختيار عند كل منهما قليل: ففي كلتا الحالتين نجد أن الماضي يشكل جبلاً وعر المسالك و يخيل إلى أن الإنسان إذا أراد أن يقارن بين ساعات العمل، و بين عليها يجد أن كتابة السيرة تكلفه أعلى من أي عمل آخر فوق هذه البسيطة .

إن كاتب السيرة يجد عناء كبيراً أثناء بحثه عن الحقائق و الوثائق و خاصة إذا كانت الشخصية المدروسة قد ماتت منذ زمن هذا يكلف الكاتب مشقة كبيرة، و عبر عن ذلك Flexner حين قال أن السيرة فن معقد فينبغي أن يكون كاتب السيرة باحثاً "موسوماً" لأنه يجمع أشياء تبدو متناقضة.(1)

فعلى الباحث في السيرة أن يكون مسلحاً، و قادراً على جمع المادة الخاصة بشخصية سيرته فنجد الكتاب الذين يستمدون مادة سيرتهم من الحياة مباشرة أي أن شخصيتهم التي يدرسونها ما زالت على قيد الحياة يكون بحثهم أسهل من الذين يجمعون المادة من الوثائق، أي أن الشخصية ماتت منذ زمن و هذا ما يدل على أن معظم السير التي كتبت في أدبنا هي تلك السير التي كتبها أناس عرفوا من كتبوا عنهم معرفة مباشرة .

3 - النقد :

بعد انتهاء كاتب السيرة من جمع المادة الخاصة بالشخص المراد دراسته، فإنه يلجأ إلى خطوة أخرى التي تجعل من سيرته خالية من الغموض و الثغرات و تتمثل في النقد الذي عبر عنه غراهام في قوله : ((الغاية القصوى التي خلق لها النقد هي أن يمكننا من أن نفهم كل شيء فهما صحيحا في محله، و نميز الجيد من الرديء))(2)... فعلى كاتب السيرة أن يكون ناقدًا قبل أن كاتباً لسيرته .

و يبدأ الكاتب بقراءة و تقويم أعمال من سيكتب سيرته و ينتقل من هذا إلى نوع آخر من النقد ألا و هو تقويم البنيات و وزنها و هذه المهمة أشبه ما تكون بالعمل القانوني أو القضائي تقتضي منطقاً صارماً و إحساساً سليماً و خيالاً قد يشبه خيال الشاعر .

1 - ماهر حسن فهيمي ، السيرة تاريخ و فن ، ص(69).

2 - نقلا عن أحمد رحمانى ، النقد التطبيقي الجمالي و اللغوي في القرن الرابع الهجري ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي القديم ، 1987م ، ص(11).

فالقاضي يقتضي عليه أن يكون ذا معرفة شاملة بالأعمال الخاصة بالشخصية المدروسة، و عليه أن ينغمس في هذه الأعمال حتى يستطيع أن يعطي تفسيراً لكل نص، و أن يعرف الطريقة التي يستخدمها المؤلف و علاقة أعماله بعضها ببعض فمن خلال هذا يعرف الكاتب كل ما يتعلق بصاحب هذه الأعمال من تجارب حياته و كل سمة من سماته، و في هذا نجد " المسز وولف " التي كتبت كلمات كثيرة شديدة عن فن السيرة، و لاحظت أن (كل سر في نفس الكاتب و كل تجربة في حياته، و كل سمة من سمات عقله نجدها مكتوبة في ثنايا مؤلفاته، و مع ذلك فنحن بحاجة إلى النقاد لتفسير الجانب الأول، و إلى كتاب السير لتفسير الجانب الثاني).⁽¹⁾

و يقول كاريل : " كم هو مريح أن نعرف الفرد البشري و أن ننظر خلاله لنندرك كل أسراره و أن ننظر إليه لنرى العالم كما يراه و أن نشخصه "⁽²⁾ و من هنا يجب على كاتب السيرة أن يدرس أعمال شخصيته و فهمها و تمحيصها من اخل الوصول إلى الثغرات و الغموض الموجود في مؤلفات و أعمال الشخصية و ذلك من خلال النقد فعليه أن يكون ناقد في كل خطوة من خطوات سيرته .

4- التحليل النفسي:

إن الفن لا يتولد من فراغ و إنما هناك دوافع أدت بالكاتب أو الفنان لإنشاء أعماله فقد تكون دوافع خارجية أي المحيطة به أو دوافع داخلية متعلقة بشعوره و نفسيته و عواطفه و الطريقة المثلى لمعرفة و كشف النفوس و تحليلها هي اللجوء إلى التحليل النفسي، و هذا الأخير الذي جاء به فوريد فاعتمد عليه الكتاب بما فيهم كاتب السيرة الذي جعله خطوة من خطوات كتابة سيرته .

ف نجد كتاب حياة سيجموند فوريد و مؤلفاته دراسة نموذجية تشرح العلاقة بين التحليل النفسي و بين فن السيرة⁽³⁾. فقد ألقى علم النفس كثيراً من الأضواء الكاشفة على نفسية

¹ - إدل ليون ، فن السيرة الأدبية ، ص(67).

² - ماهر حسن فهمي، السيرة تاريخ و فن ، ص(89).

³ - إدل ليون ، فن السيرة الأدبية ، ص(113).

الأفراد من أجل فهم طبيعة الإنسان و تفاعل علم النفس مع السيرة و اتجه إليها باعتبارها حالات متفردة حتى لقد قيل : ((إن السيرة فرع من علم النفس التطبيقي))⁽¹⁾.

و قد استخدم كثير من كتاب السير التحليل النفسي في تدوين سيرتهم و ذلك من أجل توضيح و معرفة الحقيقة عن الشخصية المراد دراستها، و حتى لا يكون هناك غموض في سيرته، و في هذا نجد اعتراف " لودفيج " أنه كان يعتمد على نجوى الذات، و وصف الحركات النفسية حيث تقل لديه المصادر و الوثائق

قال في مقدمة كتابه كيلو بترا : ((و ما وجدة من نقص في الأسانيد النفسية أباح لي التزام نجوى الذات و وصف حركات الروح بحرية أعظم مما تسوغه كثرة المصادر عند وجودها، و لما بدأت تاريخي عن غوته في سنة 1919م، و لزمتم سبيلا جديداً في ترجمته رجعت أحياناً إلى مبدأ مفاجأة الإنسان نفسه)).

و صرح كذلك لودفيج في كتابه " نابليون " بأنه ليس في كتابه جملة واحدة إلا حديث النفس، أما عدى ذلك كله مقتبس من الوثائق و الرسائل أما طريقته في ذلك الكتاب عامة فقد، وصفها بقوله : ((و قد حاولت هنا ان اكتب تاريخ نابليون من الباطن))⁽²⁾.

و يستخدم " العقاد " علم النفس استخداماً مباشراً في عبقرية عمر ليفسر قصة سارية المشهورة، و كذلك نجد " زفايج " الذي استخدم روح علم النفس في تحليل قرارات كازانوفا المفاجئة التي تخرجه من مأزقه حين تومض في داخله شرارة وهاجة من البصيرة فتضيء له السير أما هو فلا يفكر و لا يدبر حتى أنه كثيراً ما يحفل مذهباً لما بدر منه و يفرك عينيه دهشة و حيرة .

لكن على كاتب السيرة أن يكون عارفاً بطريقة استخدام علم النفس و عليه كذلك أن يعرف كل المصطلحات الخاصة به و يدرسها و يحللها بصورة أدبية حتى لا ينتهي به المطاف إلى تشويه سيرته أي حياة الشخص المدروس .

1 - ماهر حسن فهمي ، السيرة تاريخ و فن ، ص(56).

2 - إحسان عباس، فن السيرة، ص(47).

5- الزمن :

بعد المراحل و الطرق التي سلكها كاتب السيرة من اختياره للموضوع و بحثه عن المادة و جعل نفسه ناقدًا للأدب و البيّنات و ربطها بالتحليل النفسي تعتبر هذه الخطوات تمهيدًا للعمل الختامي الذي يلتقي فيه الباحث الأدبي و الناقد و عالم النفس في شخصية واحدة هي شخصية كاتب السيرة فهو بعد مروره بهذه المراحل يصل إلى المرحلة الأخيرة التي تتمثل في ترتيب الوثائق ترتيبًا زمنيًا و يعرف الزمن بأنه :

((اسم يدل على الوقت بالسنين أو الأيام أو الساعات، و يتكون من ماض و حاضر و مستقبل))(1).

و قد تكون هذه اللحظة صعبة لأن الكاتب يبقى حائرًا من أين يبدأ و كيف يجد طريقه وسط هذه المادة المضطربة و بين هذه الأيام و الشهور والسنين الكثير و كيف يستطيع في هذه الطريق الوعرة ؟ فعليه بان ينضم هذه المعلومات بطريقة منظمة و بلغة واضحة و بأسلوب قصصي هادئ و متزن و رصين مع مراعاة ترتيب الزمن فكاتب السيرة مرتبط و مقيد بالزمن.

((و لما كان الإنسان حيثما كان مقيدًا في إدراكه لذاته و للعالم بتاريخيته أي بانقسامه في الزمن إلى كيان متعدد منفصم فهو موزع أبدًا بين ثلاثة أزمنة لا فكاك له من إسارها و هي الماضي و الحاضر و المستقبل كان المشروع السير ذاتي يستمد قيمته من أنه محاولة تروم تركيب شتات الكيان المبعثر على الخط الزمني المتعدد بغية النفاذ إلى جوهر الهوية الفردية، و التعرف إليها، و لا سبيل إلى تجسيد مشروع كهذا لا بالتماس الكتابة أداة لصهر الكيان و تأليفه في رؤية موحدة))(2).

1 - حنان محمد موسى حمودة ، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر . أحمد عبد المعطي أنموذجاً ، دار الكتاب العالم ، ط2 ، دت ، ص(113).

2 - جليلة الطريطر ، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بحث في المرجعيات) ، مركز النشر الجامعي . مؤسسة سعيدان للنشر ، دط، 2004م ، ج1. ج2 ، ص(727).

نجد كل كاتب السيرة مقيد بالزمن لكنه له الحرية في التقديم و التأخير في زمن الأحداث فهناك من يبدأ بالماضي ثم الحاضر، و هناك من يبدأ الحاضر ثم الماضي و هذا يتوقف على حسب دراسة كل كاتب، و على كاتب السيرة أن يأخذ الأحداث المهمة في حياة الفرد و هذا ما نجده عند " ميخائيل نعيمة " الذي اعترف بأنه سيعطي للناس عن حياته ما يهمهم من مؤثرات في نشأته و تربيته و تكوينه النفسي و الوجداني و العلمي أما من أين أرزق، ماذا أكل و اشرب و ألبس و ما الذي كان بيني و بين نساء أحببتهن و متى حزنت و بكيت... هذه الأمور كلها، و كثير من نوعها فما ظننت أن الناس أي نفع في معرفتها لذلك أهملتها الإهمال كله (1).

لهذا فعلى كاتب السيرة أن يضع رؤية معيارية يحدد فيها ما يمكن أن يحكيه في سيرته و ما عليه أن يهمله، و هذا باعتماده على مبدأ الانتقاء و ليس نقل كل الأحداث و الوقائع. من خلال الخطوات التي يتتبعها كاتب السيرة في سيرته من اختيار للموضوع و بحث عن المادة و نقدها و تحليلها تحليلاً نفسياً و ترتيبها ترتيباً زمنياً، فإن من مقتضيات كتابة السيرة التمحيص الدقيق و الأمانة الموضوعية و عدم تسخير الأحكام و الأحداث لعاطفة الكاتب لأن العاطفة تؤدي بالسيرة إلى الانحراف عن وضعها الطبيعي فهذا يتطلب الدقة العلمية و رهافة في الحس و خيالاً محدوداً، و إذا كانت السيرة تتطلب في مناهج الدرس التحليل و الدقة في البحث فإن كتابة السيرة تتطلب من صاحبها الجرأة و الصراحة و الصدق و الأمانة في الحديث و نقل تجارب الحياة و حوادثها .

¹ - شعبان عبد الحكيم محمد ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث. رؤية نقدية ، ص(166).

VI- علاقة فن السيرة بالفنون الأخرى :

تعتبر إشكالية العلاقة بين الفنون الأدبية من أهم الإشكاليات التي يسعى النقد إلى تفسيرها ودراستها، و من بين الفنون التي وضعت تحت مجهر الدراسة فن السيرة هذا الأخير الذي ارتبط كغيره من الفنون بأجناس أدبية أخرى مثل الرواية و القصة .

1- علاقة فن السيرة بفن الرواية :

لقد اتفق جل النقاد على القول بأن جنس السيرة أخذ و استفاد استفادة كبيرة من التقنيات الروائية، و نجد هذا عند جورج ماي الذي جعلها طرفين لسلم واحد فقال : ((إن السيرة الذاتية حاضرة دائما في الرواية، و لا يتغير لا بمقدار النسبة السير ذاتية فحسب فنحصل من هذا لا على مقولات متميزة و إنما على سلم من الألوان الباهتة لا تكاد تميز))(1).

فهو على حد تعبيره الرواية أصل، والسيرة فرع، و لا تكاد تتفصل عن هذا الأصل فقد أخذت السيرة من الرواية و أعطتها الإيهام بالواقع و اصطناع صيغة المتكلم و أخذت منها بناء الأحداث حيث تسير الأحداث فيها سيرًا طرديًا أي من بداية حياة صاحبها حتى نهايتها. فالسيرة الذاتية الروائية تخضع لملمحان فنيان لبناء الأحداث هما خضوع الأحداث لمبدأ الانتقاء و الملمح الثاني هو أن الفن يضيف على الأحداث طابعًا جماليًا فنرى الشيء في عالم الفن أجمل من عالم الواقع حتى لو التزم المبدع بالواقعية في صياغة عمله الفني (2).

و اعتبرت بعض النصوص أنها واقعة بين جنس الرواية و جنس السيرة مثل " الأيام " لطف حسين و " سارة " للعقاد و حنا مينا في ثلاثيته " بقايا صور، المستنقع، القطار " و خليل حسن خليل " الوسية " و توفيق الحكيم " عودة الروح " و غيرها .

فنجد طه بدر يعتبر كتاب " الأيام " أقرب إلى الرواية، فهذه السيرة غلب على سرد أحداث حياة صاحبها الطابع الروائي في روعة العرض و تصوير المواقف و استبطان الذات

1 - جليلة الطريطر ، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بحث في المرجعيات) ، ص(86).

2 - شعبان عبد الحكيم محمد ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص(165).

و البوح النفسي بما يعتمل في نفس صاحبها من أشجان و أفراح و استخدام الحوار و الصراع الذي يعطي العمل الأدبي مذاقاً و طعمًا فنيًا جميلاً .

من خلال ما سبق نجد أن السيرة أخذت من الرواية التصوير و التجسيد و استبطان الذات أي أعطتها تشريحاً لنفسية البطل أي المونولوج الداخلي .

إن التباس الحدود الاجناسية الفاصلة ما بين جنسي السيرة الذاتية و الرواية لم يكن الالتباس الوحيد الذي تردت فيه السيرة الذاتية فقد اختلطت إلى ذلك بكتابات أخرى قريبة منها بحكم وقوعها في دائرة ما يسمى بأدب الذات و على رأسه الجنس المذكراتي و أعجب من هذا الخلط نفسه استمراره إلى أواخر الثمانينات مما يدل على أن المعايير الاجناسية المتعلقة بالسيرة الذاتية و بالأجناس المجاورة لها، لم تستقر بعد في أدبنا العربي الحديث رغم رسوخها اليوم في هذا الأدب فقد ذهب الدكتور " يوسف نوفل " على سبيل المثال إلى تصنيف كل من " سبعون " لميخائيل نعيمة و " حياتي " لأحمد أمين و " تربية سلامة موسى " لسلامة موسى ضمن جنس المذكرات في حين أن جل النقاد يعتبرون هذه الآثار من السيرة الذاتية المؤسسة لهذا الفن في الأدب العربي الحديث .(1)

بالإضافة إلى ارتباطها بالرواية و المذكرات فإنها كذلك ترتبط بفن آخر ألا و هو فن القصة .

¹ - جلييلة الطريطر ، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص(321،322).

2- علاقة فن السيرة بفن القصة :

إن العرب و المسلمين - في تقديري ليسوا أمة غنائية (شاعرة) فحسب وإنما هم أيضا أمة رواية (قاصة) تجيد لعبة الحكى، و فنون القص بأشكال متنوعة و أساليب متعددة. بل إن الكثير من عناصر القص دخلت بقوة على بعض المعارف العربية، خاصة علم التاريخ :

السياسي و الأدبي و ما يتصل به مثل كتب الحوليات - وكتب الرحلة - و فن السيرة - على اختلاف أنواعها :التاريخية و الأدبية و الشعبية (1).

يعرف محمد يوسف نجم القصة بأنها : ((مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب و هي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها و تصرفها في الحياة على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض، و يكون نصيبها في القصة متفاوتًا من حيث التأثير، و التأثير ((2).

من خلال هذا التعريف نجد أن القصة مصدرها الواقع المعاش الذي تعبر عنه بصورة فنية مثلها مثل السيرة .

كذلك كاتب السيرة موضوعي قدر الإمكان في تقديم نفسه، و تتناول الشخصيات الأخرى فكاتب القصة موضوعي في تناول البيئة و عرض المهاد الاجتماعي و لا شك أن القصة الواقعية قد تأثرت بالسيرة الذاتية في عرض التفاصيل في الأسلوب خاصة الاهتمام بصيغة المتكلم للإيهام بالواقع و بأن القصة سيرة ذاتية كما تأثرت بها في الموضوع أيضا فقد أمدت السيرة الذاتية كثيرين من كتاب القصة الواقعية بموضوعات قصصهم، بل لقد اتخذ بعض كتاب القصة من تجاربهم و سيرهم منطلقًا لموضوعاتهم كما فعل " هرمن ملفل " حين كتب " موبى ديك " فقد كانت حياته خصبة غامر فيها و ركب البحر إلى عوالم مجهولة و اشتغل فترة بصيد الحيتان و وقع أسيرًا في أيدي قبائل من أكلة لحوم البشر فكتب قصة مستمدًا أصولها من واقع تجاربه و لونها بعد ذلك بخيال القصاص (3)، فقد أخذت السيرة من القصة

1 - ناصر عبد الرزاق الموفى، القصة العربية. عصر الإبداع، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط3، 1997م، ص(07).

2 - محمد يوسف نجم، فن القصة دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج2، ص(09).

3 - ماهر حسن فهيم، السيرة تاريخ و فن، ص(249).

الخيال في صناعة أحداث الأشخاص مثل ما نجد كذلك في سيرة " الليدي ماملتون " التي كتبها أ. بارنجتون بعنوان " السيدة المقدسة " فصلة هذه السيرة بالقصص أقوى من صلتها بالتاريخ و الواقع كذلك سيرة " حياة شوبان " التي كتبها مارجري ستراتشي بعنوان " العنديل " لقد مزجت فيها حقائق حياته الخيالية و في هذا النوع من السير القصصية و جد بعض القراء تعويضًا عن القصة نفسها⁽¹⁾ .

و يعد القاص عبد الستار ناصر أحد أكثر القصاصين استجابة لهذا المعطى الأجناسي إذ أن حياته بمختلف إتجاهاتها و صورها و تشكيلاتها و فضاءاتها و تجاربها و رؤاها مشروع دائم للقص فسيرته هي قصته و قصته هي سيرته و هو يتمتع بحرية كافية ذات مرونة عالية و شفافية إنسانية مذهشة لتحويل كل شيء في حياته إلى سرد قصصي فحياته شهادة و شهادته سيرة و سيرته قصة و قصة حياة⁽²⁾ .

من خلال ما سبق نجد أن العلاقة بين السيرة و القصة علاقة وطيدة، فالسيرة أخذت من القصة الخيال و القدرة على عرض الصراع بين البطل و الأحداث و كذلك من السيرة تتبع الأحداث الحقيقية لحياة الشخص في مزيج فني و في ثوب أدبي جميل يحدث متعة و أثرًا في النفوس فقد اتصفت كثير من السير بجودة الصياغة الأدبية و سلاسة السرد القصصي، كذلك تأثرت القصة بالسيرة و اعتمدت عليها فقد أمدت كتاب القصة الواقعية بموضوعات قصصهم و غيرها، و يمكن للكاتب القصصي أن يستعين بسيرة ما في تأليف عمله القصصي، و بذلك نقول بأن العلاقة بينهما علاقة أخذ و عطاء

و هكذا نجد فن السيرة يستفيد من الأجناس الأدبية الأخرى من فن الرواية التي أعطتها الإيهام بالواقع و اصطناع صيغة المتكلم (السيرة الذاتية) و التصوير و التجسيد واستبطان الذات أي محاولة تشريح نفسية البطل و من القصة القدرة على عرض الصراع بين البطل، و البيئة و صياغة الأحداث الحقيقة لحياة صاحبها .

¹ - المرجع السابق ، ص(14).

² - محمد صابر عبيد ، المغامرة الجمالية للنص القصصي ، عالم لكتب الحديث ، الأردن ، ط1 2010م ، ص(115).

الفصل التطبيقي

قراءة نقدية في مضمون السير

الفصل الثاني: قراءة نقدية في مضمون السيرة.

I- تلخيص مضمون السيرة:

في وسط منطقة الحضنة ولد الفتى ببلدة عين الخضراء التابعة إدارياً لولاية المسيلة على بعد ساعتين من طبنة و نصف ساعة من مقرة، و قضى الفتى شطراً من طفولته لاهياً فوق أطلال مدينة طبنة غير مدرك لقيمتها التاريخية و شطراً من سوق السبت ببلدة مقرة غير عالم بمكانة ابنها المقري في التاريخ العربي الإسلامي، حيث قضى جل طفولته بين بيوت الشعر و الطين، وسط أب مجاهد منح و سخر نفسه في سبيل الحركة الوطنية التحريرية ليموت شهيداً على يد الاستعمار الغادر، و أم ناضلت و صبرت من أجل حفظ عائلتها و صون كرامتها أمام الظروف القاسية للترحال الدائم تارة، و الهرب من الاستعمار تارة أخرى، و وسط أهل و أجداد لم يعرفوا سوى الخيمة، عاشوا رحلاً و ماتوا و هم رحلاً .

يتذكر الصبي أنه ذات يوم صباحاً وجد خاله يحلق ذقنه، فتمنى أن يصبح كبيراً ليحلق هو أيضاً ذقنه و تكون له بقرة تدر له بالحليب الوفير... وهو يذكر جيداً أن خاله خاطبه: متى تأتيني بالطمينة و أزين لك . لكنه ظل متسائلاً حينها في معنى الطمينة، أهي أكلة، أم لباس، أم شيء ثميناً يؤتى به من بلد بعيدة .

تحدثه نفسه أنه سيصبح سائق طائرة لا تكره الفلاحين و المجاهدين، و أنه سيصبح طالب قرآن يخافه الصغار و يحترمه الكبار، و يلبس الثياب البيضاء النظيفة و يحمل عكازة كبيرة .

و تشرق في ذاكرته الصغيرة كلمة استقلال متسائلاً من أين يأتي هذا أو من أي جهة هو ليستمع ذات عشية أن الاستقلال آت غداً و لم ينم تلك الليلة و في الصباح تستيقظ القرية كلها مهاجرة إلى مكان بعيد، خارجين من بيوتهم، فالفرحة كسرت كل القضبان، كان ينظر في الوجه عله يبصر الاستقلال، لكنه لم يره و نام ذلك اليوم على دموعه .

يذكر الصبي ذات عشية و الجد مريض على فرش الموت، ناد أحدهما الصبيان و اتجه بهما إلى الجد فنحنيا عليه ليقبلاه و هو غير قادر على فتح عينيه و عندما جاء الصباح كان الجد قد غادر عالم الأحياء، و منذ مات الجد لم يعد للحلوة و القديد

و القوفريط طعم المرة الأولى و تغير إحساس الصبيين بالأشياء و الناس و دخلا معترك الدنيا.

و يذكر أنه ذات صباح أرسلته والدته مع حشد من المساكين إلى المكتب للحصول على الصداقة و توزيع الإعانات الخيرية، غير أنه و بعد حصوله على نصيبه و نصيب أخيه و لشدة ما بكت أمه بسبب أن الألبسة على غير مقاسهما بل و هي ألبسة نساء، يذكر أن أمه رفعة عموداً و علقت في أعلاه تلك الألبسة ليراها أهل القرية و عابرو السبيل لشدة غيضا .

و يذكر ذلك الصباح الذي اكتفت فيه العائلة بكؤوس من الزعتر، قالت له أمه حينها، وعلى ملامح وجهها روحانية الذكري بأن قسمة المجاهدين علقت بعض من صور الشهداء و لعل صورة والدك من بينهم، لينطلق كالبرق إلى المدينة للبحث عن صورة لرجل جندي يحمل بندقية و لكنه لم يجدها، كان مشغولاً بأيدي الأطفال الصغار وهي تختبئ بين أصابع أبنائهم الكبيرة و يداه تسبحان على قلق في الهواء بانساً يبغي الصراخ... و لكن؟؟

كانت تتاديه أمه لقبش - و القبش..وين راك ؟ لاه تظال هامل تحت الشمس ؟ وراسك معمر بالتراب...ماکش رايح تهمد ؟ لأنه كان و منذ أيامه الأولى على الأرض ضائعاً تحت الشمس شاردًا لا يهدم إلا حين يخطفه النوم ليلاً، و كم كان يغيب عن القرية أشهرًا طوال فيكون أول من يستقبله هي كلبة خاله عمار رحمه الله بالترحاب و كسر الرقبة و التمرغ على التراب، و هو يذكر يوم أوصد عليها باب الكوري و حمل مع ابن خاله العيفة جميع جرائها في قفة و ابتعدوا بعيدا حيث قاموا بذبحهم و ردمهم تحت التراب و في صباح اليوم التالي كانت إحدى زوايا الكوري تضم كلبة تحتها جراء مذبوحة، فقد عرفت بحاسة الشم لديها مكان المقبرة الجماعية و حملتهم واحدًا واحدًا.

يذكر الصبي اليوم الذي سافر فيه إلى المدينة للدراسة في دار الطفولة لأبناء الشهداء تاركًا وراءه كل ذكريات القرية حاملاً فاليزة صغيرة لا يعلم في أي مزبلة كان مصيرها، ملأتها له خالته ب الرفيس التونسي و التمر و البلوط و البيض المشرشم و بكثير من حبها و أشواقها لكنه ما لبث أن أخذ منه المراقبون في الدار كل ما عنده...تجرع السطو و الكلمة النابية و انزل أذنيه و اندمج بين الأطفال، رغم أن

المدينة لم تكن خالية من معارفه و أهله فقد كانت أمه متزوجة فيها بأحد الأقارب و يذكر أنها استدعته في عطلة الشتاء فكان ينام مع أخيه في قري عرضه أقل من مترين، أما طوله فمتران لا توجد فيه كهرباء، و أما الفراش فكان حصيرا بالية و وضعت فوقها الدرابل، غير أن أمه كانت تضرب أخاه كثيرا ثم تبكي لاعنة الزمان لفرط إهماله لدراسته، و ما زاد حزنها الشديد أن أباهم أوصاها بالحرص على تعليمهم .

يذكر أن مدرسته الأولى كانت حياته التي عاشها في القرية كانت مواقفه التي صادفته إزاء معاملته مع الحيز الذي يعيش فيه و ما شد انتباهه أكثر عاداتهم التي فرضت عليه فرضا، لا القبط الذي اصطاده بالمدرية ثم سلخوه و غلوه في الماء ثم أكله بغية إبطال السحر و لا الكلب الذي رموه في بئر مهجورة ضيقة فمات وحيدا أكلته الديدان و هو يقاوم و لا الماعز و الجمال...كلهم كان لهم مواقف و لحظات رسخت في ذاكرته دورسا .

يذكر الصبي ذلك المشهد الذي لا يموت في مخيلته، يوم كان في ربيع الرابع لا يذكر من ذهب به بيت المسعود بن الحاج عمار الذي كان بعيدا عن التجمعات القروية و قد قرر العودة لوحده حافيا، و ما يلبث أن يصل إلى القرية ليجدها ساكنة هادئة دون ساكنيها غير المرضى والعاطلين، لم يترك الاستعمار غير جدته و بعض النساء المرضى، و هو لا يذكر كيف وصل إلى ذلك الجمع الهائل من الأطفال و النساء و الرجال و العجزة و كيف أنه مشى كل تلك المسافة التي تبعد ثلاث كيلو مترات . إن أول صورة طبعت في ذاكرته بكاء الأطفال الشديد من فرط العطش و رجال مقيدون و الدماء تسيل من رؤوسهم ما كان يعلمه إلا أن هؤلاء لا يحبوننا و لا يحبون أعمامنا و أخواننا و لا يعلم لما كانت النساء في ذلك الوقت تظلين وجوههن بفضلات البقر و حموم الفراح كلما حاموا و طوقوا القرية .

لقد كان مسكونا بلغة الأشياء و كان شديد الحوار معها، لقد كانت الحيوانات و الأحجار و الأعشاب في ذهنه تتكلم، كان النمل مقسما عنده إلى نمل جيش التحرير الوطني و نمل عسكر فرنسا كلما كان يعثر على غار النمل المعادي خربه و قتل ما فيه، و إذا عثر على النمل المجاهد فتت له ما عنده من تمر أو كسرة ليتقوت و يزداد قوة .

في المسجد كان ضعيف الذاكرة، كان مشغولاً بعوالم سحرية أخرى، فالمتفوقون كانوا يدرسون عمليات الجبر الرياضية أما الصبي فكان بعيداً عن كل هذا، و أما في المدرسة فهو يذكر أن المعلم كتب جملة باللغة العربية على السبورة و وقف الأطفال في صف طويل فمن أحسن قراءة الجملة فهو في السنة الثانية و من لا يحسن قراءتها فهو في السنة الأولى، فجأة ست سنوات و الصبي لا يحسن القراءة السريعة و لا يحفظ إلا بضرب المبرح، يذكر الصبي أنه سلخ سنة من شبابه الأولى من دون دراسة في بيت ابن عمه بالعاصمة الجزائرية مستسلماً للفراغ و الصمة و اكتشاف رغبات المدينة...حاصل على شهادة الشرف و ربما ما كان ليحصل عليها لولا نقطة الرياضيات المزورة، و ذلك بقلب الصفر إلى ست فأصبحت نقطته ست عشر من عشرين، في العام الموالي عاد الصبي المدينة بركة حيث قضى السننتين الباقيتين من التعليم المتوسط أين انحلت عقدة لسانه و انفتحت نفسه على الأفاق الجديدة فعرف الكثير من الأدب الجاهلي و الإسلامي الأول و الأموي و العباسي و الأندلسي و مدرسة الإحياء و الرابطة القلمية و العصبة الأندلسية و جماعة أبولو، واصل تعليمه الثانوي في ثانوية عبان رمضان بمنطقة الحراش في العاصمة .

يذكر الصبي أن أول لقاء له مع رمضان كان في دار الطفولة لأبناء الشهداء يوم اصطف الأطفال في طابور طويل و اتجه بهم المربون إلى مسجد المدينة لعرضهم على شيخه و يذكر حين سأله الشيخ : كم عمرك ؟ فقال : سبع سنوات، فضحك المربي و قال مصححا : ثماني سنوات . لكن الصبي علق صامتاً: لقد قال لي المعلم العام الماضي إن عمرك سبع سنوات فلماذا أضاف لي عاما آخر .

يتذكر الصبي ذات عشية و أمه تبتسم على غير عاداتها : ستذهب إلى دزاير...لتواصل دراستك، و ذات صباح بكت أمه كثيراً وهي تجلسه على ركبته و تضع بين أصابعه كمشة من الدراهم ولا شك أنها في أمس الحاجة إليها.. تقول ماذا تريد أيضا و هي لا تملك شيء آخر تعطيه إياه . ما شد انتباهه في المدينة حينها كثرة النوافذ و ندرة التراب و طغيان الحديد، لم يكن أي شيء يهم الصبي و يثير خياله إلا تلك الأشجار العظيمة جذوعها و فروعها، كان كبير الأشجار يقلقه و يدفعه دفعا إلى طرح أسئلة عجيبة تتجاوز قدراته العقلية كان يذهب في نهاية كل أسبوع إلى دار

فلان الكبير و الذي كان يرمقه بعطفه و حنانه على خلاف زوجته التي كانت تبغضه... ذات عشية كان يجلس في قاعة المطالعة يراجع درسه في التاريخ، و ما لبث حتى أخرجته المراقب ليجره الجندي إلى الدار بتهمة سرقة ثياب الأمير المدلل طارق ابن فلان الكبير و الذي لم يتجاوز سنه العام الواحد، كان مشهد الظلم مزدوجاً أمام عيني الصبي الذي انهارا باكياً... ظل حبيس الخوف بين الدرك الوطني و سخط المدينة القاسي .

يعود الصبي بذاكرته إلى القرية أين كانت الطفولة عامرة بالصمت و الضجيج، كان إذا جاع ساق الشياه أمامه قريباً من طريق السواعة الذين يوزعون الحيشية على الأطفال الذين يصادفونهم في المنتجات البعيدة، قد تكون تمرّاً أو زلابية أو برتقالاً و الأغلب كانوا يرمونها على الطريق... كان يسأل نفسه كم من شمس في هذه الدنيا و هل يمكن أن تطلع هنا في المدينة شمس القرية .

بدأت الأرض تستقبل أوراق الخريف و شرعت الأشجار تتعري للمطر في انتظار موسم الخصوبة الجديد، أما الصبي فعاد إلى كراسي الدراسة و ها هو يقود عربة حياته حاملاً على ظهره يتمه و جثث أحلام طفولته و أوجاع الطريق، و هاهو يبني تمثاله الخاص للأجيال حالما بطلوع شمس القرية ذات صباح على مدن الإسمنت و الكآبة و الحديد.

هذه هي أهم الأحداث التي مرت على حياة عياش يحيايوي في فترة صباه اختصرنها في هذه الصفحات المعدودة.

II- دراسة المنهج و الأسلوب المتبع من طرف الكاتب :

1/ منهجه:

إن الكتاب الذي بين أيدينا " لقبش " عمل أدبي قصصي يحكي فيه الكاتب حياة شخص منذ طفولته وحتى سنٍ متقدمة من حياته متناولاً بيئته ونشأته وأعماله وتأثيراته وهذا ما يطلق عليه اسم ترجمة الحياة ..

غير أن الذي بين أيدينا يعد الجزء الأول من ضمن الأجزاء الثلاثة التي تحمل عنوان " لقبش"، وقد مثل كل كتاب مرحلة من مراحلها الحياتية الاجتماعية و الثقافية، فأما الجزء الأول تناول فيه مرحلة طفولته المبكرة، وأما الجزء الثاني فتناول مرحلة عمله الإعلامي متضمناً الأحداث الاجتماعية و الثقافية في العاصمة الجزائرية و مدينة وهران، أما الجزء الثالث و الأخير فتناول مرحلة عمله الإعلامي و إنشغاله في دولة الإمارات العربية المتحدة.

فما شد انتباهنا لدراسة الجزء الأول ما يحمله من خصائص فنية و سردية تجعله يختلف كثيراً عن باقي السير الذاتية التي صادفناها إلى الآن " الأيام " لطف حسين،" حياتي " لأحمد أمين، سبعون لميخائيل نعيمة...إلخ.

و ما لاحظناه أن المنهج الذي اعتمده الكاتب في كتاب سيرته هو المنهج التاريخي بقليل من التغيير في منطلق السرد، فهو لم يعتمد طريقة السرد المتتابع بل عمد في بداية كتابه إلى ذكر المنطقة التي ولد فيها و ما يحدها مبرزاً قيمتها الحضارية و أهم أعلامها البارزين في التاريخ العربي الإسلامي .

«...هي الحضنة جنوب شرق العاصمة الجزائرية بحوالي 350 كيلومتر، جبل بو طالب شمالها و السبخة الكبرى و بدايات الصحراء جنوبها، و فيها توجد مدينة المسيلة عاصمة المعز بن باديس الفاطمي و منجبة الشاعر ابن هاني و الناقد ابن رشيق صاحب كتاب " العمدة " المشهور بالقيرواني لإقامته في القيروان، و فيها توجد مدينة مقرة التي ينتمي إليها المقري صاحب كتاب " نفح الطيب "، و فيها توجد قلعة " بني حماد " وهي ما تبقى من حضارة الحماديين الذين أسهموا في نقل باقة من العلوم العربية إلى صقلية و إيطاليا...توجد مدينة طبنة و هي من أوائل الحواضر العربية

الإسلامية في المغرب العربي، بناها بأمر من الخليفة المنصور أبو جعفر عمر بن حفص من ولد قبيصة بن أبي صفرة، أخي المهلب في منتصف القرن الثاني للهجري.» (1)

فقد انحدر في أغلب من تاريخ نفسه إلى تاريخ عصره، ولم يعن كفاية بأحداثه بل تحول مؤرخاً يسجل حياة عصره و عاداته في حقة ما قبل الاستقلال و بعده مكتفياً بتصوير شخصيته كشاهد فقط بطريقة غير مباشرة معلقاً على ذلك بحيرة و تساؤل في مخيلته الصغيرة، كان و كأنه يرصد حياة غيره معتمداً في السرد كذلك على المنهج الوصفي التحليلي، و ما أكثر الوصف في سيرته حتى أننا لا نكاد نفرغ من صفحة لنجده في الصفحة الموالية، لكنه استطاع بمنهجيته هذه أن يوصل لنا تلك الفترة مصورة في أذهاننا وكأننا نعيشها، فقد أستطاع بمخيلته الفذة وذاكرته القوية أن يحلل ملامح و مواقف الشخصيات التي عاشت بين بيوت الشعر و بيوت الطين و رعيي الغنم و الإبل، بما يقابلها من شخصيات عاشت في المدينة بين الإسمنت و الكآبة و الحديد، كل ذلك دون أن ينسى وصف البيئة و العادات المحيطة بهم وصفاً دقيقاً، و من أمثلة ذلك :

« إنهم أطفال من طراز آخر، حفاة عراة نادراً ما يأكلون كسرة القمح، تربت بطونهم على أكل الرطباية و الرقداية لا يعرفون ماذا يوجد خلف حدود القرية و يحلمون بيوم يأكلون فيه الخبز و الزلابية لكنهم أطفال ثوار عيونهم أبداً مشدودة إلى زرقة الجبال حيث يكافح رجال الجزائر من أجل الاستقلال » (2)

الوصف و التحليل عنده قد تعدى إلى الحيوانات القروية و من ذلك : « على عكس كلبة بيت " جلة " فأنت تذكر كيف كانت تتناوم مستلقية على الأرض حتى يأمن منها العابرون و ما إن يصرفوا عنها أنظارهم حتى تتطلق خلفهم من غير صوت، و على أشبار تتبح بأعلى ما تملكه من هواء في صدرها فيفزع العابرون و تعود هي سعيدة جذلى بما حققته فأنت تذكر أنها إذا شعرت بك تراقبها لا تهاجمك لأنك بذلك تفقد عليها متعة إفزاعك..» (3)

1 - عياش يحيوي، لقيش . سيرة ذاتية لحليب الطفولة، الجزائر، ج1، ط2، 2012 م، ص(17).

2 - المرجع نفسه، ص(69).

3 - المرجع نفسه، ص(58).

وأما ما نلاحظه عند وصفه للحالات النفسية فهنا حقا تكون الدقة رائعة و التطويل زيادة في العبور بالقارئ إلى إحساس الشخصية القصصية لدرجة أن يشعر المرء أحيانا انه يعيش الموقف بكل تفاصيله .

و من أكثر ما أثار الحزن في نفسي من مواقف الرواية، وصفه لحالته النفسية و هو يتهم بالسرقة خلال مرحلة دراسته بالعاصمة عند أحد الأقارب.

« دخل الدار متهمًا بسرقة ثياب الأمير...استقبلته صاحبة الشأن بالغضب الحاد و العتاب الجارح، كان أمامها يشبه غصنًا أصفرًا ملطخًا بذنوب كل المجرمين على الأرض...لم تشفع له طفولته الذاهلة و لا دموعه المنكسرة، كان يشبه أرنبًا ضعيفًا محاصرًا بالمخالب و الرصاص...و تحت وابل الاتهامات و الكلمات النابية إنهار الصبي مغميًا عليه...حين استيقظ وجد نفسه في الدهاليز...و حول رقبتة حبل و يداه مصفدتان، كان الشاب الطائش يمارس عليه القهر و الصفع...»⁽¹⁾

¹ - لقبش، ص(142).

2 / الأسلوب المتبع من طرف الكاتب :

إن الأسلوب حسب رأي ب.كري B.Gray (1969) ليس اختلافاً من إختلاقات العلماء، الاختلاق الذي لا يقابله شيء في الواقع، و برغم هذه العدمية لا يمكن أن ننكر ارتباط بعض المظاهر المشتركة بين جميع مجالات الممارسة المذكورة بكلمة " أسلوب " يمكن أن نذكر من بينها :

- الأسلوب يمثل اختياراً بين مدخر من الإمكانيات.

- الأسلوب خاصة فردية للنص .

- الأسلوب نتيجة المعايير و المواصفات و منطلقها . (1)

والأسلوب كتعبير عن شخصية الكاتب/المرسل و عقليته و توجهه الفكري هو المفهوم التعبيري التكويني للأسلوب، و كثيراً ما رُبط هذا المفهوم بعبارة بيون المشهورة " الأسلوب هو الرجل نفسه "

غير أن المفهوم الذي نعرفه هو أن الأسلوب هو الطريقة التي يستخدم الكاتب بها الكلمات في صياغة الأدب . إنه تتابع الكلمات واحدة بعد الأخرى، وتتابع الفقرات بعضها وراء بعض. و تجدر الإشارة إلى أننا قلما نستمتع بشخصيات القصة أو حبكتها دون أن يكون أسلوب الكاتب نفسه ممتعاً أيضاً. فالطريقة التي يكتب بها الكتاب هي جزء مما يريدون قوله، و وجهة نظر الكاتب هي الطريقة التي يعرض بها قصته و هي جزء آخر من وجوه الأسلوب.(2)

و ما نلاحظه أن أسلوبه قد جاء واضح، يمتاز بسهولة الألفاظ و هي قريبة جداً من اللغة العامية أكثر منها إلى اللغة الفصحى، و ربما يعود ذلك إلى أنه يريد سرد هذه السيرة الذاتية كما كانت لدا مخيلته الصغيرة، أو بمعنى آخر أراد سردها و كأنه يسردها في ذلك الزمن (فترة الطفولة)، فهو كان يتكلم بلسان الصبي البريء المفعم بالحيوية و النشاط و حب الحياة و التطلع إلى المستقبل بأحلام كبيرة، كبر تجربته و معاناته و حزنه الكبير على تغير الأحوال بين الفترة و الأخرى و من ذلك قوله: (البثور، الرديف، الطرحة، البوكشاش، الطلبة، يضرب في لخطا، البوسطة، بخسها، كعبوش

¹ - محمد العمري، البلاغة و الأسلوب، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، 1999م، ص(52).

² - الموسوعة العالمية العربية، مؤسسة أعمال الموسوعة و التوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2، 1999م، ص(333).

قرس، سفة سكر، الشانبيط، المطمورة، الشاش، فاليزة، النواله، الكوري، الطمينه، الرقداية، الهانة، الرطباية...) و غيرها من الألفاظ الدارجة التي تملأ الرواية. و إن هذه الألفاظ و غيرها التي استعملها عياش يحيايوي في سرد سيرته كانت حتى يصف حياته العامة بأكملها المرتبطة بعامة الناس في تلك الفترة، و حتى يقربنا من عالمه أكثر فأكثر و ليثبت لنا بأن سيرته تجسيدا للواقع الذي عاش فيه، و أنه لم يصطنع أحداثها بل ذكرها كما هي .

«.... يودع بنظراته الدجاج و الجدران و الهضاب و يفتعل الفرح باقتراب الذهاب إلى المدرسة، كان يملك فاليزة صغيرة لا يعلم في أي مزبلة كان مصيرها، ملأتها خالته ب الرفيس التونسي و التمر و البلوط و البيض المشرشم و بكثير من حبها و أشواقها...»⁽¹⁾

و لعل الشيء الذي جعل سيرته تلقى إعجابنا هو اعتماده على الصراحة و الصدق كما قال أنيس المقدسي، و هي صفة جيدة و ضرورية لدى الكاتب لأنها تقربه من القارئ جاعلة منه يعيش لحظات طفولته مشاركا إياه ألامه و أوجاعه و بذلك امتازت بأسلوب أدبي شفاف . جاءت بمثابة تجسيد لحياته في الصغر نقلها لنا خطوة خطوة، معتمداً على أسلوب أدبي راق فصيح و بليغ يميل أغلبه إلى الأسلوب الروائي، و لعل هذا الأسلوب هو الأنجح رغم إدراجه اللغة العامية إلا أنها ربما كانت هي الميزة الأساسية التي جعلته يسمو ضمن الأدب الذي يجمع بين الرواية و السيرة الذاتية . و قد اعتمد في أسلوبه على عبارات سهلة و فخمة و رائعة في نفس الوقت، صيغت بأسلوب متوازن بين الأخبار و التصوير، و لغة بسيطة و موحية تنبض بالحياة. كل هذا يجعلك إذا قرأت موقفاً له أو حدثاً تجد نفسك تتساق وراء عباراته و تصوراته تلك، و كأنك تحي هذا الحدث و تعيشه على حقيقته، تدمع عينك عندما تدمع عيناه، و تحلم بأحلام الطفولة عندما يحلم بها، و تعيش لحظة الشغب التي قام بها، و تحزن لحزنه، و تياس ليأسه...

فقد أبدع و أدهش حقاً في تصوير رؤيته النفسية بمخيلته الصغيرة آنذاك عندما خاطب أهل القبور في داخله

¹ - لقبش، ص(70).

« و أستعد أهل القرية للعودة و التهب خياله و استفزت أحاسيسه ... و تبقى القبور وحيدة ... إن الديدان لتقيم الاحتفالات كلما حل ضيف جديد من أهل الدنيا، و أن الصبي لا يرتعد جسمه الصغير رهبة و هو يرى الناس عالمين فوق الأرض و تحتها...يمسح بنظراته القبور في صمت و كأنه يقول لولا أنني أخاف الذئب و ريح الليل لمكثت ها هنا...فلربما كانت بين القبور زيارات... و لربما كانت للقبور حياة تتهامس فيها الأرواح و تتراقص تحت ضوء القمر نافرة من أيامها في الدنيا حين كانت سجينة الأرواح.» (1)

و قد رأينا أن الكاتب في قصته يتحدث عن نفسه كما لو أنه يتحدث عن غلام عرفه و رافق تطوره في الحياة. مستعملاً في أغلبه ضمير الغائب "هو" و الملاحظ أن هذه السيرة في طريقة سردها فيها نوع من التشابه بسيرة "الأيام" لطفه حسين، و المعروف عند بعض الدارسين أنهم ذهبوا إلى القول (2): بأن أحمد أمين عندما كتب سيرته " حياتي " قد تأثر بكتاب "الأيام" لطفه حسين و يعود هذا التأثير لسببين هما :

- ✓ ما أحرزه كتاب "الأيام" من شهرة واسعة في المجال الإعلامي و الأدبي .
- ✓ النشأة الأزهرية المتشابهة بين صاحب الأيام و صاحب حياتي .

و لا ريب أن الكاتب عياش يحيائي قد اطلع على كتاب الأيام وكان له نفس التأثير الشديد بمنهجه و أسلوبه لما لقي من شهرة واسعة.

و في الأخير نقول أن الكاتب عياش يحيائي في هذا النص الروائي يكتب عن نفسه بأسلوب مسحته الواقعية و تعدد الصور المتمثلة في شكل أحداث و علاقات أسرية اجتماعية يسودها التنافر و الاضطراب في الغالب، والغريب في الأمر أن الروائي يزجك في عالم أشبه ما يكون بالخيال حتى في قمة عوالمه الواقعية.

¹ - لقبش، ص(78).

² - محمد صادق عيفي، الدراسات الأدبية. دراسة في التراجم، القصة في الطفولة : حياتي، زقاق المذاق، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1970، ج5، ص (76).

III- دراسة البنية السردية في رواية السيرة الذاتية " لقبش "

1/ بنية الزمن :

« الزمن هذا الشبح الوهمي الذي يقتفي أثارنا حيثما و ضعنا الخطى بل حيثما إستقرت بنا النوى بل حيثما نكون و تحت أي شكل و عبر أي حال نلبسها، فالزمن كأنه وجودنا نفسه، هو إثبات لهذا الوجود أولاً ثم قهره رويداً رويداً، فالوجود هو الزمن الذي يحاصرنا ليلاً نهاراً و صبا و شيخوخة دون أن يغادرنا لحظة من اللحظات أو يسهو عنا ثانية من الثواني، إن الزمن موكل بالكائنات و منها الكائن الإنساني، يتقصى مراحل حياته و يتولج في تفاصيلها بحيث لا يفوته منها شيء و لا يغيب عنه منها فتيل كما تراه موكلاً بالوجود نفسه أي بهذا الكون يغير من وجهه و يبدل من مظهره فإذا هو الآن ليل و غداً هو نهار و إذا هو في هذا الفصل شتاء و في ذلك صيف و في كل حال لا نرى الزمن بالعين المجردة ولا بعين المجهر أيضاً و لكننا نرى آثاره تتجلى فينا و تتجسد في الكائنات التي تحيط بنا » (1)

فالزمن عنصر مهم في الدراسات النقدية الحديثة و منه تتطلق أبرز التقنيات السردية المتعددة و تأتي العناية بهذا العنصر الروائي البنيوي المبنى المتن الحكائي .
و من هنا يتضح أن الزمان هو الرابط لأحداث رواية السيرة التي سنقوم بدراستها " لقبش " و سنقوم برسم ملامح البنية الزمانية في السيرة و رؤية كيفية تعبير المؤلف عنها و إبرازها لها و التعرف على وظائف الزمن ضمن الحركية الدلالية العامة للسيرة .
و ما نلاحظه في هذا الجزء من سيرة " لقبش " أن الزمن هنا منقسم إلى قسمين :

أولاً: أزمنة عامة

وتمثل فترة الاستعمار و فترة ما بعد الاستعمار و هي زمن الاستقلال، فنلاحظ أن الكاتب في سرده لأحداث الطفولة كان الزمن محصوراً جداً، اكتفى فيه بتصويره لبعض المواقف و الأحداث التي مرت عليه أثناء فترتي الاستعمار و الاستقلال مبرراً المظاهر الاجتماعية و التاريخية و النفسية السائدة آنذاك

¹ - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأداب ، عالم المعرفة، الكويت، 1998م، ص(199).

فظهر الزمن العام لتلك الفترة من خلال المعالم و الدلائل الواضحة في سرده.
الترحال، الفقر، الجوع، الظلم، الهانة، الحرمان، الفلانة، المجاهد، الشهيد، لاراف،
الثورة... و غيرها من الألفاظ التي تدل على ذلك
من ذلك ما نلمحه في قوله:

« هو لا يعلم كيف وجد أمه حين وصل إلى لاراف...لم يبق في لاراف إلا الصمت و
الغبار و أصوات المعذبين، و ذكريات علقت في ذهن الشمس و الهضاب المجاورة »
(1)

إن كلمة لاراف تعود إلى زمن الاستعمار و هي عبارة عن تجمع سكاني في شكل
دائري في منطقة معزولة عن القرية يعاقب في أثنائها المجاهدون أمام الملأ.
« ذات عشية سمع أن الإستقلال سيأتي غدًا..في الصباح رأى القرية كلها تهاجر، من
راكب حمار و من مركوبه رجلاه و من ذهب إلى الطريق البايك، إختلط الناس رجال و
نساء و أطفال لم يعد أحد يحجب عائلته عن أحد، الفرحة كسرت كل القضبان و
الحدود...» (2)

هذا السرد يدل على فترة أو زمن الاستعمار التي ولت و هذا اليوم يعتبر اليوم
المشهدود للشعب الجزائري، بعد نضال طويل دام لما يقارب القرن و الربع، و هو ما
تمثله الهبة الجماعية للشعب .

ثانيا: أزمنة خاصة

وهي إشارة الكاتب إلى الغد، الفجر، المساء، الصباح، عشية، ربع قرن، الآن،
من ذلك قوله: « حدث ذلك منذ ربع قرن لم يكن الصبي قد تجاوز ربيع الرابع...»
« و يذكر الصبي الآن كيف كان بعض الأطفال يحرمون أنفسهم من الفطور
الصباحي...»
« يذكر الصبي ذات عشية و الجد مريض...و عندما جاء الصباح كان الجد قد غادر
عالم الأحياء... »
« و يذكر الصبي ذات يوم صباحًا وجد خاله يحلق ذقنه فتمنى أن يصبح كبيرًا...»

¹- لقبش، ص(39).

²- لقبش، ص(49).

تطرح "سيزا أحمد قاسم" في دراستها للزمن منهجية تجمع بين أزمنة الأفعال و ترتيبها و البنية الزمنية للنص الروائي كما حددها جيرار جينيت، كما تقسم الزمن الإنساني إلى قسمين : الأول داخلي خاص بالإنسان و هو كامن فيه و الثاني زمن خارجي حيث تقول : « و في دراستنا لطبيعة الأدب من زاوية الزمن نعتمد على هذا فنسمي الأول الزمن النفسي أو الزمن الداخلي و الثاني الزمن الطبيعي أو الزمن الخارجي و لا شك أن هذين المفهومين يمثلان بعدي البناء الروائي في هيكله الزمني»⁽¹⁾

إن التمييز بين الزمنين لا يعني تعرضهما، بل لكل زمن فضاؤه و خصوصيته فما الزمن الأول إلا صورة باطنية للشخصيات و لذكراياتها و أحلامها، أما الزمن الطبيعي فيتجسد بشكل أساسي بين ثنايا النصوص الروائية عبر الزمن الكوني و الزمن التاريخي الذي يخفي وراءه كيفية صياغة الكاتب له و إتخاذه مرجعاً لعالمه التخيلي و المعبر عن ميولاته .

فما تلاحظه و أنت تقرأ هذه السيرة "لقبش" أن الكاتب قد حرص على أن تكون مرحلة طفولته محصورة ما بين السن الثالثة و الرابعة عشر .

فما نلاحظه من خلال تتبعنا لهذه السيرة أن الكاتب لم يتقيد بالتتابع الزمني للأحداث التي مرة عليه في تلك الحقبة

فقد حاول الكاتب أن يسرد جميع مواقف الطفولية الحساسة جداً والتي ظلت راسخة في مخيلته رغم تقدم الزمن لذلك لم يكن هنالك ترتيب زمني معين سار على نهجه أو لربما أراد أن يبين لنا أن كل هذه المواقف تمثل زمن واحداً وهو زمن الطفولة، فتارة نجده يتحدث عن مرحلة صباه و ذلك قبل الدخول المدرسي و هي الفترة التي تمثل إرتباطه الكبير بأمه و محاولته تجسيد معانات أمه في تربيته هو و أخيه أيام الفقر و العوز و الاستعمار و ما بعد الاستعمار من ذلك قوله: « و أنت تذكر الآن ذلك الصباح الذي إكتفت فيه العائلة الصغيرة بكؤوس من الزعتر فقد كان الدينار

¹ - سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية . دراسة مقارنة ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1984م، ص(45).

بعيداً، بعيداً كالقمر لحظتها قالت لك والدتك و على ملامحها روحانية الذكرى يقولون إن قسمة المجاهدين علقت صوراً لبعض الشهداء»⁽¹⁾

لينتقل بعد ذلك إلى زمن إنتقاله من القرية إلى المدين من أجل الدراسة هناك و سرد يومياته البائسة .

« و يذكر الآن اليوم الذي وصل فيه إلى دار الطفولة لأبناء الشهداء في مدينة ناقوس قادماً من قرينته الصغيرة مروراً بمدينة بريكة كان يرتدي ملابس جديد و حذاء جديد...»⁽²⁾

« في الساعة الثامنة صباحاً كان الصبي أمام بوابة "دار الطفولة لأبناء الشهداء " وقف في طابور طويل يخضع لحملة تفتيشية...»⁽³⁾

و تارة نجده يعود بنا إلى مواقف كانت بالنسبة له في الزمن الماضي أي قبل مرحلة الدراسة كما أن هنالك أحداث أختزلها في سرده و كان من المفترض الإشارة إليها باعتبارها جانباً حساساً بنسبة إليه كزواج أمه بأحد الأقارب و انتقالها إلى المدينة. هذه الأحداث كان من المفترض ذكرها في الزمن الماضي بالنسبة إلى لطفولته التي عاشها في القرية. إلا أنه كان متحفظاً جداً و رغم سرده لحياة أمه و أخيه في المدينة إلا أننا ما نلبث أن نجده عاد بنا إلى إستذكارها أيام كانت تعيش في القرية، كل هذا و ذلك أفقد القصة خاصية التتابع الزمني .

يذهب بحراوي إلى القول بأن " الثنائية الزمنية التي تكشف لنا عن التعارض بين زمن القصة و زمن الحكى يمكن اعتبارها مع جينيت أهم ما يميز السرد الأدبي من حيث مستويات إعداده الجمالي عن غيره من أنواع السرد الأخرى " ⁽⁴⁾

إن غاية ما سعى إليه حسن بحراوي هو إستعاب الأدوات الإجرائية قصد مقارنة الزمن السردى و تحليل أفضل للعلاقات الزمنية التي تتضمن النص السردى، لذا ركز على حركتي الترتيب و المدة كاشفاً عن مقدار ذلك التفاوت الحاصل بينهما و ما ينتج عنهما من تعريفات زمنية تلبى بواعث جمالية و بنائية للنص الروائي .

1 - لقبش، ص(55).

2 - لقبش، ص(99).

3 - لقبش، ص(71).

4 - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي. الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، ص(117).

وهذا ما يجعلنا نقول أن الزمن في هذه السيرة لم يكن مقيداً بالتسلسل بل أرادته الكاتب أن يكون خاضعاً للمستوى الجمالي بالنسبة للسرد الأدبي الذي إعتده . فالزمن ليس إختياري في الرواية و لكنه ضرورة قصوى، و قد يستطيع الكاتب أن يعيد ترتيب الزمان فيبدأ بالحاضر ثم ينتقل إلى الماضي في استعادة للذكريات أو يمزج الحاضر بالمستقبل و لكنه مزج واع فيه استعمال للزمان رغم تداخل الأزمنة (1). و هذا ما لاحظناه في كتابنا "لقبش" من ذلك قوله : « ...لقد كنت تقتل أبناء الكلاب و ما زلت إلى اليوم تعيش من أجل ذلك..» (2)

2 / بنية الفضاء (المكان) :

إن المكان هو الموقع الثابت المحسوس القابل للإدراك و الحاوي للشيء و هو مستقر بقوة أحساس الكائن الحي.

كما يعتبر المكان عنصراً أساسياً في تشكيل العمل القصصي " ذلك أنه المسافة التي تدور فيها الشخصيات و تتقلب فيها مؤدية أدوارها و تتفاوت أهميته من قصة لأخرى و من قاص لأخر هذا ما يجعل المكان يكتسي أهمية أكبر في العمل القصصي و قد ربط الكثير من النقاد وقوع الأحداث بوجود الأمكنة و منهم (جورج بلان) الذي يرى أنه حيث لا توجد الأحداث إلا بتواجد الأمكنة " (3)

فكان المكان العام في سيرة "لقبش" هو القرية من جهة، ففي هذا المستوى نلاحظ هيمنة فضاء الريف كفضاء و حيز مرتبط طبيعياً بما قبل و بعد الاستعمار فنجد مثلا : « هناك حيث رائحة الروث و الفقر و حيث للألوان الترابية الباهتة رغبة للصراخ و حيث للسراب أجنحة و للأحلام انكسار يابس هناك على هضبة الحضنة عشية فتح الصبي عينيه» (4)

فالكاتب عياش يحيايوي يعتبر واحداً من الذين اهتموا بالمكان في العمل الحكائي بحيث لم يجعله ديكوراً أو مشهداً، إنه صار عنصراً حكائياً هاماً قائماً بذاته فأصبح يكتسي أهمية معتبر في العمل الفني فهو يصور المكان عن قصد لإبراز الحالة

1 - قراءة في الرواية الجزائرية، الدار الكبيرة، محمد ديب، كلية الآداب و اللغات، جامعة قسنطينة، مذكرة معدة لنيل شهادة الماستر، 2011م، ص(70).

2 - لقبش، ص(61).

3 - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص(30).

4 - لقبش، ص(87).

النفسية التي تعاني منها الشخصية من توتر و قلق و تشتت الأفكار ... فيجعل لهذه الحالة مكانا ضيقاً محدوداً تعيشه الشخصية . فنجد من ذلك :

« في الصباح تبدأ حركة القرية، حركة أناس يعيشون لأنهم لم يموت بعد، لا يعيشون لأهداف كبيرة، فقد تحررت الجزائر هدفهم الأكبر ألفوا المعاش بين الماعز و الكلاب و الدجاج و هجير الصيف و قر الشتاء يأكلون القوت و ينتظرون الموت..»⁽¹⁾

إن القرية فضاء مغيب أنتجه النص وفق منظور فكري يخضع لمنظومة قيم و أفكار تقليدية تفتقد لعنصر حيوي يحفز الشخصية على إعادة بنائه و تنظيمه وفق نسق تطوري يعطي وجهاً مغايراً لمحدوديته إذ أن طبوغرافية الفضاء المغلق و خضوعه لسنوات القهر و الاستعمار من جهة و قساوة الطبيعة من جهة ثانية له تأثير سلبي على أفعال الشخصيات فالاستسلام للشعور بغياب الحرية الفردية يدفعها للقيام بردود أفعال متباينة ترغب باستمرار في الإنعتاق من سطوة الفضاء المغلق عبر الانتقال و التحول إلى فضاءات نسجتها مخيلة القرويين.

« كانت القرية عيناً مفتوحة على الخوف و الفقر و عيناً مفتوحة على الموت و جثث الأحلام و المقابر »⁽²⁾

فالقرية فضاء مغلق على ذاته لا يطرح فكرة الانفتاح على فضاءات مغايرة تمكنه من جلب نظم جديدة و أفكار تساهم في نشر الوعي بين القرويين فانطواء الذات القروية على نفسها و ما تنتجه الذاكرة الجماعية فضاء المن حكايات و خرافات جعل من القرية فضاء مستهلكاً لا منتجاً، من ذلك :

« لم تكن القرية تحلم بزيارة البحر أو السفر إلى ما وراء جبل بو طالب، لكنها كانت تحلم بالخبز الأبيض و اللباس النظيف الذي يستر العورة...»⁽³⁾

و داخل هذا الفضاء العام توجد فضاءات و أمكنة محددة تدور فيها الشخصيات في القرية من ذلك:

بيت الطين: « يذكر الصبي جيدا أن دارهم الطينية غرفة واحدة ..هناك في

الزاوية حيث أسود الحائط يقع الكانون و بجواره ثلاثة صخور هي المناصب و على

¹ - لقبش، ص(78).

² - لقبش، ص(131).

³ - لقبش، ص(57).

اليسار يقع القش و هو مستند إلى دعائم خشبية مرتفعة عن الأرض فوقه الاغطية و المزود الخاوية، بينهما توجد الطيبة ..و فوق القش فحة الفأران أما السقف فمن السدر و الطين تتوسطه مادرية غليظة قوية .«⁽¹⁾

الحوش (المراح) : مكان واسع غير مغلق عادة ما تجلس فيه العائلة الصغيرة و خالة الصبي من أجل الشمس أثناء النهار و تبادل الأحاديث .
الزريبة : مكان مخصص للبهائم و الأبقار .

المقبرة : « كان لا يتجاوز خريفه السادس يوم لمست قدماء الصغيرتان تربة المكان الصامت و يوم حفظ جملة تقول " السلام عليكم يا أهل المدينة أنتم السابقون و نحن اللاحقون " و يوم تساءل هل يعود هؤلاء ذات صباح »⁽²⁾

كان للمقبرة أهمية بارزة في تصويرها خلال هذا العمل الفني و الذي صور فيه الكاتب تفكير الشخصية القروية من منظور نظرتها إلى العالم الآخر، فرغم الفقر الذي تعيشه القرية إلا أنها لا تترك عادة الذهاب إلى القبور، نساءها و صغارها و شبابها كل سنة إلى ضريح أولياء الله الصالحين أخذتا معها الطعام و البخور .

و من جهة أخرى نجد فضاءً عامًا آخر و هو المدينة و التي يصورها الكاتب في قوله ب مدن الإسمنت و الكآبة و الحديد. عالم غير عالمه و أناس غير أناسهم وتفكير غير تفكيرهم حيث يقول : « أول ما شد إنتباهه في الشارع الكبير (شارع الشهيد ديدوش مراد) كثرة النوافذ و ندرة التراب و طغيان الحديد على الأشياء...رأى أشياء لم يفهم لها معنى أو وظيفة...لم يكن أي شيء يهم الصبي و يثير خياله إلا تلك الأشجار العظيمة جذوعها و فروعها »⁽³⁾

و داخل هذا الفضاء العام كانت له أحداثًا بارزة في أمكنة معينة ظلت راسخة في صباه و كان لها تأثير بليغ على تكوين شخصيته من ذلك:

القربي : و هو المكان الذي كان ينام فيه هو و أخيه أيام عطلة المدرسية عندما كانت أمه تسكن في المدينة « عرض القربي أقل من مترين أما طوله فمتران

¹ - لقبش، ص(50).

² - لقبش، ص(75).

³ - لقبش، ص(140،141).

سقفه قريب من الرؤوس، لا توجد فيه كهرباء في زواياه الأربعة اتسعت إمبراطورية العنكبوت جوار الصبيين أكداس من الكتان و الصوف و أوان منزلية قديمة كان الفراش حصيراً بالية...»⁽¹⁾

و هذا ما يدل على هون المعيشة رغم سكناهم في المدينة و لأنهم ليسوا أبناء صاحب الدار رغم كبر الدار.

دار الطفولة لأبناء الشهداء : تعتبر المكان الأول الذي قصده الصبي إلى

المدينة من أجل الدراسة في قوله: « و يذكر الآن اليوم الأول الذي وصل فيه إلى دار الطفولة لأبناء الشهداء في مدينة نقاوس...كانت هندسة المكان غريبة و تتوسطها مساحات واسعة و فيها نوافذ كثيرة و فيها وجوه رجال لم يرهم قط...و أدخلهم بيت كبير فيه طاولات طويلة و متنوعة الألوان و فيه كراسي متنوعة الألوان...و في الطعم ذاق للمرة الأولى في حياته معجون المشمش»⁽²⁾

إعدادية بن ضيف الله : متوسطة موجودة بضواحي العاصمة درس بها

الصبي لفترة من الزمن، وكان أثناء عطلة الأسبوع يذهب لقضاء اليومين عند أحد الأقارب (فلان الكبير).

متوسطة البنات : أستضيف بها الصبي يوم أغلقت إعدادية بن ضيف الله

أبوابها في أيام نهاية الدراسة السنوية، و عاش الصبي بينهن غريباً يأكل صدره صراع عنيف بالأسئلة المرة..هذه المدرسة كانت ملاذه الوحيد يوم طرده فلان الكبير من بيته غير مصدق إياه .

قاعة المطالعة : و هو المكان الذي كان الصبي و باقي التلاميذ يراجعون

دروسهم فيه في إطار النظام المدرسي الداخلي بإعدادية بن ضيف الله .

منزل فلان الكبير: و هو منزل أحد أقارب الصبي الذي كان يقطن

بالعاصمة (شارع الشهيد ديدوش موراد) كان يمثل نموذجاً عصرياً لبيوت المدينة (الفيلا) .

¹ - لقبش، ص(72).

² - لقبش، ص (99).

مصلحة الدرك الوطني : و هو المكان الذي جرَّ إليه الصبي بحقارة و إذلال لإستنطاقه بتهمة سرقة ثياب ابن فلان الكبير الذي لا يتجاوز سنه العام الواحد«...في اليوم الرابع أدخل الصبي غرفة إنفرادية في مقر الدرك بقي فيها نصف يوم لا يعلم ما الذي سيحدث له»⁽¹⁾

و يقوم فضاء الاستنطاق بإبراز لحظات القمع التي يمارسها الدركي على المتهم الصغير وسط ديكور هندسي ينمُّ على الرهبة و الخوف و الضياع، إذ " تحتل الأشياء الموصوفة أهمية بالغة في بناء الفضاء الجغرافي فبالإضافة إلى وظيفتها الجمالية، تتناوب بها أيضا وظيفة الكشف عن الوضع النفسي للشخصيات التي تتعامل معها و عن الوضع الاجتماعي و الثقافي الذي تجري الرواية فيه " ⁽²⁾

دهليز السفلي للفيلا : و هو المكان الذي وجد فيه الصبي نفسه مصفد اليدين و الحبل حول رقبته الصغيرة و الشاب الطائش ابن فلان الكبير يمارس عليه القهر و الصفع .

يرى حسن بحراوي: ⁽³⁾ أن الفضاء الروائي يتخذ وضعية ممتازة داخل السرد بفضل الدلالة المزدوجة التي يتوفر عليها، فهو يعرض في النص عن طريق تصويره و تعيينه ثم يعلق عليه و تعطاه دلالة و معنى عبر إدراجه في سياق محدد حيث تلزمتنا القراءة الفاحصة للفضاء الرواية إلى البحث عن عناصره و تركيباته و أشياءه للكشف عن طاقته الدلالية غير مكتفين بالصورة الطبوغرافية للفضاء " لأن الاقتصار على جانب واحد مهما بلغ من الفاعلية و الخصوبة يظل حائلا دون رؤية الجوانب الأخرى التي تشكل الصورة المتكاملة للفضاء الروائي و تعطيه انسجامه و أسباب إنبنائه " ⁽⁴⁾

1 - لقبش، ص(143).

2 - يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، إتحاد الكتاب العربي، دمشق، د.ط، 1999، ص(99).

3 - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص(59).

4 - المرجع نفسه، ص (43).

3 / بنية الشخصية و الحدث:

أولاً: بنية الشخصية :

لقد كان الروائيون التقليديون يلحون ملامح الشخصية بملامح الشخص و ذلك من أجل إيهام القراء بأنها ترقى إلى مستوى التمثيل الواقعي بصورة الحياة⁽¹⁾، فالشخصية بالنسبة لهم صورة مصغرة للعالم الواقعي .

و نظراً لأهمية الشخصية و باعتبارها الأكثر تعقيداً في المكونات السردية فقد حاول الكثير من الباحثين المحدثين دراستها و تحليلها كل حسب طريقته.

و يعرفها عبد المالك مرتاض أنها " كائن حركي حي ينهض في العمل السردى بوظيفة الشخص دون أن يكونه "⁽²⁾ محاولاً التمييز بين الشخصية و الشخص، فيما يذهب البعض إلى تعريفها بأنها " الكائن البشرى المجسد لمعايير مختلفة أو أنها الشخص المتخيل الذي يقوم بدور في تطور الحدث "⁽³⁾

و من المعروف أن الشخصية هي مزيج من عناصر، بعضها وراثي و بعضها انعكاس للواقع الاجتماعي التي تنتمي إليه الشخصية، وكلها تتصارع و تتفاعل فتكون من تمازجها و تداخلها الشخصية التي أراد الكاتب تصويرها، و ما يؤدي إلى رسم الشخصيات رسماً عميقاً هو الصدق الفني و هذه ميزة من مميزات كتاب السيرة الذاتية و التي يقتصر صاحبها على وصف الشخصيات من الجانب الخارجى و تعتبر شخصيته هي الشخصية الأساسية في سيرة حياته لأنه يتحدث عن نفسه و عن الحياة التي عاشها فهي شخصية نامية، التي بدأت من الطفولة فكان يتطور من موقف لآخر و يكشف لنا خبايا المجتمع الذي عاش فيه و الذي تطور و نما معه و قد رسم إلى جانب شخصيته الرئيسية شخصيات عديدة بعضها قريبة منه و أخرى بعيدة نوعاً ما، هذه الشخصيات قد تكون ملازمة له في حياته و أخرى قد التقى بها أثناء انتقاله من قريته إلى مكان آخر .

1 - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص (97).

2 - نبيلة زويش، تحليل الخطاب السردى.(في ضوء المنهج السميائي)، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2003م، ص(126).

3 - جميلة قيسمون، الشخصية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 13، جوان 2000، ص (62).

نذكر هذه النماذج من الشخصيات فيما يلي :

1 / العائلة :

- الأب : محمد يحيوي والد "لقبش" " متقفاً و متخرجاً من جامعة الزيتونة بتونس ترك مواصلة دراسته و إلتحق بجيش التحرير الوطني، الذي كان يخوض حرباً ضد الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر كانت وظيفة والد الصبي محافظاً سياسياً و الوظيفة عسكرية و تشكل همزة وصل مع شرائح الشعب "(1). "الشهيد في ثورة الجزائر (1954 - 1962) "

- الأم : و هي مثال للأمة المناضلة و الصبورة وسط الفقر و الحرمان " تنتمي والدتي مباركة بنت سي نعمان إلى جيل من البدو الجزائريين الذي كان جسراً بين الخيمة و بيت الطين بين الترحال على ظهور الإبل نحو المنتجات البعيدة و الإقامة قريباً من حقول الشعير و القمح...والدتي قريبة الصلة بوالدي...من حيث القرابة النسبية "(2)

- لقبش : ولد طائش " و لقبش ..وين راك ؟ لاه تظال هام تحت الشمس ؟ و راسك معمر بالتراب ..ما كش رايع تهمد؟ "(3)

- الأخ : عبد الحميد، كان رضيعاً أيام الاستعمار و طفلاً يعان الحرمان و الفقر و الخوف " إسترعى انتباه الصبي أن أخاه ينتعل حذاء رياضياً تبرز من خلاله أصابعه الأمامية كان يجذب أصابعه إلى الخلف كلما وقعت عينا ضيف على الحذاء، و كان يلبس قميصاً ليس فيه قفلة واحدة ممزقا على الإبطين أما السروال فممزق من الخلف و على الركبتين أما الجسم فنحيل و العينان توحيان بالقلق و الحرمان و الخوف...كان فاشلاً في دراسته الابتدائية"⁴

- الجد : الحاج سليمان، رجل عاش بين زراعة الأرض و رعيي البقر و الإبل، لكنه يعد من الفئة القليلة التي أسهمت بكل ما لديها من طاقة و إمكانيات من أجل دعم جيش التحرير و تحرير الوطن " ..جداك ما يزال يرعى البقرة ' الكحلة ' و الحمار الأشهب، و خلفه كلب فرو كثيف . افتح عينيك يوم يزور القرية ترى كل

1 - لقبش، ص(94).

2 - لقبش، ص(17).

3 - لقبش، ص(77).

4 - لقبش، ص(72).

إبل القرية و خيامها و'صرعوفة' شياها و ترى زرعها أخضر و هناك قرب ' الرحي الطايح ' سيكون في جيب جدك القديد و الحلوة و الوطن الجميل ."(1)

2 / أهل القرية :

- **السعيد بن عمه :** " نشأ منذ طفولته الأولى بعيداً عن أمه قريباً من زوجة أبيه، تربي بين الشياه و الأبقار و الإبل و القرط و الأحزان و البحث عن الدفاء و الألفة...لم يواصل حفظ القرآن كأترابه في القرية... تربي السعيد على الثياب الممزقة التي يخيطنها بنفسه...كان ينام وحيدا في الدار القبليّة، في الصباح الباكر يخرج الأبقار و الشياه من الإسطبل و الحوش مرتعدا من شدة البرد...ثم يعود إلى الإسطبل ينظفه، ثم يتوجه إلى البئر لينهمك ساعات في إخراج الماء للدار و الحيوانات...ما أكثر أحلام السعيد...كان الصبي يجلس معه تحت شجرة السدر الكبيرة و يطلقان العنان لأحلامهما... كان يحلم بأن يجد كنزا خرافيا من المال، يشتري منه طائرة...حين تحط الطائرة يهاب منها سكان القرية...و هاهو الصبي الآن يسأل نفسه لو أن السعيد واصل دراسته أليس من الممكن أن يصبح قاصا من الدرجة الأولى... لكن السعيد كبر و صار شابا يحرث و يحصد و تزوج من القرية " (2)

- **حدة :** " كان عمرها يقارب العاشرة...أنت تذكرها مكدودة الوجه، غائرة العينين بكماء، تحبوا على الرغم من كبر سنها كنت تلعب معها رفقة أخيك على مزبلة الدار... أو في المراح بين الأغنام و الأحمررة و الدجاج...هي ابنة عمك... ذات عشية غادرت القرية...لم يبق غير صراخها في أعماق ذاكرتك " (3)

- **أم الساعد :** " تلك الفلاحة الصعبة التي تتناطح الرجال و لا تستقر على حال ،" امرأة من قوم عواسة كانت تعيش وحدها تزرع أرضها و تحرثها و تحصدتها بيديها و تملك ماشية و بيتا طينيا صغيرا " (4)

1 - لقبش، ص(80،81).

2 - لقبش، ص(61،62).

3 - لقبش، ص(66).

4 - لقبش، ص(81).

- **عثمان** : "كان عثمان قنوع النفس ميالا إلى الصمت، مقبلا بين الحين و الآخر على التعاليق يغضب بسرعة... معتزا بنفسه إلى أبعد الحدود طيب السريرة... و هو جالس يستند إلى جدار طيني ببطء شديد و عيناه مشدودتان إما إلى تراب الأرض أو فرغ الأفق... هام في الأرض باكيا شاردا إلى أن فارق الحياة وحيدا" (1) "إن غياب عثمان كان يعني في ذهن الصبي نهاية مرحلة من حياة القرية".

- **العقون** : "كان صعب المراس و فلاحا مخشوشن اليدين يعيش وحيدا مع صرعوفة من الغنم و الماعز و بعض أدوات الفلاحة إنه عالم مغلق يهابه أطفال القرية لأنه كان مولعا بقرص الأطفال بأصابعه الخشنة" (2)

3 / أهل المدينة :

1/3 - مدرسة "دار الطفولة لأبناء الشهداء"

- **المعلمين** : "فقد كان يخاف معلم المدرسة الذي لا يرحم و معلم الحساب الذي يشبه زبانية العذاب في جهنم" (3)

- **المدير** : شخصية قاسية و صارمة و لا توجد في قلبها رحمة " حين رأوا المدير تجمعوا خوفا مما ينتظرهم...الصمت يبسط أجنحته على الساحة ما عدا صوت إرتطام حذاء المدير بالحصى المفروشة في المكان و هو يمشي بهدوء مريب" (4)

- **المربون** : قسوتهم لا تقل عن قسوة المدير " يقترب الطفل الأول ينزع لباسه العلوي تماما يؤمر بحمل الكرسي إلى أعلى فوق رأسه يبدأ استجوابه... ما لم يعجب المدير و المربين نزل الحزام الجلدي على ظهره فإذا سقط من يده الكرسي تضاعف الضرب.."(5)

- **عمي السعيد الحارس** : و هو مجاهد معروف وتعارك كلاميا مع المدير و المربين من أجل العنف الذي يمارس على الأطفال " الصبي لا يذكر ماذا قال

1 - لقبش، ص(126).

2 - لقبش، ص(87).

3 - لقبش، ص(73).

4 - لقبش، ص(112).

5 - لقبش، ص(114).

لهم بالتحديد لكنه يذكر أنه هددهم بأن يخبر المدينة كلها عن ممارساتهم ضد أبناء الشهداء⁽¹⁾

2/3 - أقارب المدينة:

- فلان الكبير : أحد أقارب الصبي و من الذين كانوا يعطفون عليه لكنه وللأسف تغير إلى القسوة "ابن عمه عبد الله يحيايوي الموظف حينها في وزارة العدل و الذي توفي لاحقا خلال شجار عائلي في ظروف غامضة بمدينة بريكة"، "كان يذهب إلى دار فلان الكبير في نهاية كل أسبوع و كان يعطف عليه... و كان في المناسبات يشتري له الملابس الجديدة... كان يتساءل كيف يسمح فلان الكبير بأن يدخل طفل إلى مقر الدرك و هذا الطفل هو من دمه و سلالته و من شرفه العائلي؟"⁽²⁾

- زوجة فلان الكبير : شخصية غيورة و حاقدة "في العام الثاني بدأت زوجة فلان الكبير تقلق من وجود الصبي القروي لقد صار فردا من أفراد المنزل الكبير الواسع... و استقبلته صاحبة الشأن بالغضب الحاد و العتاب الجارح"⁽³⁾ و ما كانت كل هذه الشخصيات التي ذكرت إلا عاملاً من العوامل البارزة و المؤثرة والتي عملت على صقل شخصية ذلك الطفل الصغير لتجعل منه يرى العالم بمنظار آخر. فالحياة مدرسة دروسها التجارب و معلمها الزمن.

1 - لقبش، ص(113).

2 - لقبش، ص(141،143).

3 - لقبش، ص(141،142).

ثانياً: الحدث

نصل إلى العنصر الأخير من عناصر الرواية البارزة فنقول: إن الحدث هو ركيزة العناصر الفنية السابقة (الزمن، المكان، الشخصيات، اللغة) و الحدث الروائي ليس تماماً كالحدث الواقعي و إن انطلقت أساساً من الواقع ذلك لأن الروائي (الكاتب) حين يكتب روايته يختار من الأحداث الحياتية ما يراه مناسباً لكتابة روايته، كما أنه ينتقي و يحذف و يضيف من مخزونه الثقافي و من خياله الفني ما يجعل من الحدث الروائي شيئاً آخر لا نجد له في واقعنا المعيش حدثاً طبق الأصل.⁽¹⁾

و ما الحدث إلا و وراءه شخصية تحركه و قد يطلق على هذه العلاقة الحبكة الفنية أي ارتباط الأحداث بالشخصيات إرتباطاً منطقياً يجعل من مجموعها وحدة ذات دلالة محددة و هذا ما أكد عليه الكثير من النقاد و خاصة الدكتور رشاد رشدي حين قال : بأن هنالك صلة وثيقة بين الحدث و الشخصية لأنه من الخطأ الفصل أو التفرقة بين الشخصية و بين الحدث، لأن الحدث هو الشخصية و هي تعمل أو هو الفاعل و هو يفعل .

و لعل الشرط الأساسي في هذه العلاقة حسب أحمد طالب هو " توفر الشعور بالمنطق الداخلي، بحيث تجعلك القصة تسمع و تشعر و ترى...فهي تربطك بالأحداث و العلاقات بالشخصيات بطريقة تجعلك تحس فترة من الوقت أن منطقتهم و عواطفهم مرتبطة بك "⁽²⁾

و قد يصاغ الحدث بطرق عدة " مثلاً أن يلجأ إلى طريقة السرد المباشر و هي الطريقة الملحمية أو طريقة الترجمة الذاتية أو طريقة الوثائق أو الرسائل المتبادلة أو إلى طريقة حديثة و هي طريقة الوعي أو المونولوج الداخلي "⁽³⁾

و بما أن السيرة الذاتية التي بين أيدينا كانت عبارة عن جزء واحد من بين الثلاثة أجزاء و يمثل مرحلة الطفولة التي عاشها آنذاك، فإن أحداثها كانت محدودة جداً و محصورة و غير مترابطة بين الشخصيات وربما يعود كل هذا إلى أن الكاتب أراد أن

1 - آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية و التطبيق، دار الحور للنشر و التوزيع، سورية، ط1، 1997، ص(27).

2 - أحمد طالب، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1989م، ص(205).

3 - محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ص(64).

يسردها كما هي في ذاكرته أو بعبارة أخرى مثلت هذه المرحلة في ذاكرته مواقفًا متقطعة ظلت تنبض بالحياة بداخله إلى أن جاء الوقت لسردها .

وقد كان الكتاب بدوره مقسمًا إلى عدة أجزاء لذلك ارتأينا أن نجمع المواقف التي حدثت له قبل الدخول إلى المدرسة كأحداث مترابطة و المواقف التي حدثت له بعد رحيله من القرية إلى المدينة للدراسة كأحداث مترابطة أيضًا، محاولين الربط بين جل الشخصيات .

1/ أهم الأحداث التي حدثت له "لقبش" قبل الدراسة:

كان أول حدث طبع في ذاكرته يوم ذهبه إلى بيت خاله " إنها صورة لن تموت ككل الأطفال آنذاك، يخرج حافيًا يهيم على وجهه في دروب القرية ثم يواصل طريقه إلى بيت خاله... و جده في المراح يخلق ذقنه...راح يتأمل تجاعيد وجه خاله "(1) كان يقول في نفسه متى أكبر وأصير مثله لأحلق ذقني وما إن قال له خاله متى تأتيني بالطمينة و أزين لك؟ حتى خرج الصبي مفكرًا في معنى الطمينة أهي أكلة أم لباس أم شيء ثمين يؤتى به من بلاد بعيدة !

كان الصبي وأخوه كلما استيقظا صباحًا خرجا من الدار و ذهبا إلى جدهما كان يخبئهما تحت جناحي برنوسه و يعطيهما الحلوة و القديد و القوفريط، لكنه ذات عشية ناد الصبيين رجلًا غريب واتجه بهما إلى الجد كان حينها غير قادر على فتح عينيه ولم يتعرف عليهما حتى قال أحدهم هذان ولدا سي محمد فنحنيا عليه ليقبلهما بحركة خفيفة من شفثيه وعندما جاء الصباح كان الجد قد فرق عالم الأحياء " فمنذ مات الجد لم يعد للحلوة و القديد و القوفريط طعم المرة الأولى، فقد تغير أحساس الصبيين بالأشياء و الناس و دخلا معترك الدنيا "(2)

و يتذكر الصبي يوم أرسلته أمه إلى المكتب من أجل جلب الصداقة في ذلك اليوم أحضر نصيبه و نصيب أخاه و لكن الألبسة لم تكن على غير مقاسهما بل و هي ألبسة نساء، بكت أمه ذلك اليوم و أعادتهم إلى المكتب لتغيرهم لكنهم رفضوا في

1 - لقبش، ص(47).

2 - لقبش، ص(52).

ذلك اليوم... رفعت عمودًا طويلًا فوق المنزل الطيني و علقت في أعلاه تلك الألبسة ليراها أهل القرية و عابرو السبيل.

2/ أهم الأحداث التي حدثت له أثناء مرحلة الدراسة :

كان أول حدث ظل راسخًا في ذاكرته يوم ذهابه إلى المدرسة عندما حضرت له خالته فاليزة صغيرة ملأتها له ب الرفيس التونسي و التمر و البلوط و البيض المشرشم و ربما كان هذا كل ما تمتلكه أو ربما كان هذا كل ما فرح به عد الذهاب إلى المدرسة. لكنه عند وصوله إلى دار الطفولة لأبناء الشهداء إستحوذ عليها المراقبون فتجرع السطو و الكلمة النابية. و لم يكن هذا الحدث الوحيد داخل المدرسة، فقد شهد موقف آخر لم يمحي من ذاكرته يوم قررت مجموعة من التلاميذ الهرب من المدرسة و كان هو شاهدًا على خطتهم التي وضعوها، و ما كان عقابهم على الهرب إلا العقاب الجماعي الذي نزل على جميع التلاميذ دون رحمة أو شفقة من طرف المدير و المربين .

و أهم حدث لم يستوعبه عقله الصغير آنذاك كان أيام دراسته بالعاصمة في متوسطة "بن ضيف الله" ولا يذهب إلى أحد أقاربه إلا في نهاية الأسبوع كان قريبه هذا يحبه و يعطف عليه كثيرًا لكنه ما لبث أن حدث في أحد الأيام و جاءه دركي إلى المدرسة ليجره بعنف و إذلال إلى منزل قريبه هذا متهمًا بسرقة ملابس ابنه الذي لم يتجاوز العام الواحد، تعرض للشتم و الإهانة والضرب و الحبس داخل دهاليز الفيلا مربوط الرقبة و مقيد اليدين، و في الأخير ذهب به إلى الدرك الوطني أين تم استجوابه مرات عدة و في الأخير و لفرط تعب و خوفه من الاستجواب إتهم أحد الأشخاص في السوق بأنه باعه له، و هو لم يفعل ذلك أبدًا.

إن هذه الأحداث هي من مجمل المواقف التي كان لها الأثر الأكبر و البارز في التأثير على عواطفه و أحاسيسه التي لم تكن قد نمت بعد .

4 / الحوار و الوصف:

أولاً: الحوار

إن الحيوية في الحوار تتحقق بما يصاحب الأداء من حركة عضوية و ذهنية في وقت معاً، و حين يرتبط الحوار بالشخصيات فيدل عليها من حيث وصفها الاجتماعي و مستواها الفكري و الخلقى، فالحوار قبل كل شيء لغة الأشخاص أنفسهم أو هو المؤلف⁽¹⁾، وهو بهذا المعنى يمتلك دور فعال في رسم الشخصية و تحديد موقعها وهو قد أتاح الفرصة للشخصيات كي تحدثنا عن نفسها و عن غيرها ممن تعرفه و بهذا كانت فائدته في تطوير الأحداث و السير بها إلى النهاية .

و من هنا يتضح لنا أن الكاتب قدم شخصيات السرد في حالة نفسية و مادية ضمن صراعها اليومي و من خلال التصور و الحوار في السرد تتكشف لنا حالتها و سمات قضيتها و ملامح أزمته و تكشف بأزمته الخاصة معضلة الواقع المأزوم و الفقر المحتوم .

فقد استهل الكاتب سرد سيرته الذاتية بمقطع من الحوار الذي دار بينه و بين والدته يوم 3 يوليو 2002 في دولة الإمارات العربية المتحدة، ليكشف لنا من خلاله عن تاريخ أسرته و موطنه الأصلي و مكان ولادته و الظروف القاسية التي عاشتها أسرته أيام الاستعمار و التي لم يكن يتذكرها و من ذلك:

■ أين ولدت أنت ؟

- ولدت في دار خالك المداني، مشيدة بطابوق من التراب و التبن، سنة 1936م.

■ هل لي أخ اسمه الميلود ؟

- إنه ابني البكر، مات صغيراً، لم يسبق أن حدثتك عنه، و مات بعد أخوك جمال تبركا بجمال عبد الناصر.

■ و الآن أريدك أن تحدثيني عن بيتنا الذي هدمه جنود الاستعمار ..

- شاع التحاق والدك بجيش التحرير بالجمال و شرعت إدارة الاستخبارات الاستعمارية تبحث عنه و تتلقظ أخباره....

¹ - عز الدين، إسماعيل، الأدب و فنونه، دار الفكر العربي، دط، 1976، ص(248).

- أما الحوار الباطني أو المونولوج وهو على عكس الأول إذ أنه حديث النفس للنفس ذاتها و قد جاء كثيرا في النص السردي مقارنة بالحوار المباشر الذي يكون بين الشخصيات. من ذلك:

" و يوم تساءل هل يعود هؤلاء ذات صباح إلى مضارب القرية أم أننا نحن الذين سنذهب إلى مضاربهم ذات مساء..؟" (1)

" من هياك للصمت أيها الطافح بالأحزان في عصر الثورات؟ من ألقاك إلى الرصيف نافذة تائهة تبحث عن جدار؟ من فتح ذاتك للنسيان أيها القروي الخارج من حجر الحضنة..؟" (2)

" هل نسيت المخلول؟ لا أراك نسيت..كيف تنساه و هو يسكن في الصالون الواسع لذاكركت..؟" (3)

و قد جاءت لغة الحوار بسيطة سهلة و دقيقة التعبير عن المعنى المراد، سطحية قصد تحقيق الصدق الواقعي حتى تظهر الشخصية في درجة وعيها و تفكيرها و كلامها بنفس الصورة التي تظهر عليها في حياتنا اليومية الواقعية .

1 - لقبش، ص(75).

2 - لقبش، ص(80).

3 - لقبش، ص(86).

ثانياً: الوصف

إن الوصف كسائر العناصر الفنية الأخرى للقصة أو الرواية يساهم في خلق جو ضروري لتجسيد المواقف و تحليل الأبعاد النفسية للشخصية و هو لذلك لا ينبغي أن يكون مجرد مساعدة إخبارية جافة فقط كما يراه البعض، و ما نلمحه من خلال تحليلنا لهذا الكتاب "لقبش" أن الوصف جاء على شكلين استطاع الكاتب من خلاله أن يستوفيا جميع الجوانب التي لربما ما كن لنفهمها لولا الوصف الدقيق الذي وصفه.

❖ و صف الأمكنة:

من ذلك ما نجده عندما وصف لنا فضاء "القربي" الذي عاش فيه هو أخوه في بيت زوج أمه " كان ينام مع أخيه في قربي صغير يقع جوار غرفة للنوم و الطبخ و الحياة اليومية عرض القربي أقل من مترين أما طوله فمتران، سقفه قريب من الرؤوس لا توجد فيه كهراء، في زواياه الأربع اتسعت إمبراطورية العنكبوت، جوار الصبيين أكداس من الكتان..."⁽¹⁾

و ما أكثره من وصف للأمكنة في ثنايا الكتاب (وصف البيت الطيني، وصف المدرسة، وصف المدينة، وصف المقبرة...)

❖ و صف الشخصيات:

فقد اقتصر وصفه على بعض الشخصيات التي كان لها تأثير بارز على مشاعره و عواطفه. من ذلك وصف ملامح أخيه البائسة "...أما السروال فممزق من الخلف و على الركبتين، أما الجسم فنحيل و العينان توحيان بالقلق و الحرمان و الخوف..."⁽²⁾

- وصف السعيد ابن عمه و معاناته" كان ينام وحيدا في الدار القبلية، في الصباح الباكر يخرج الأبقار و الفرس و الشياه من الاسطبل و الحوش مرتعداً من شدة البرد يقيد الأبقار و الفرس و يضع أمامها الحشيش، ثم يعود إلى الإسطبل ينظفه ثم يتوجه إلى البئر لينهمك ساعات في إخراج الماء للدار و الحيوانات..."⁽³⁾

فهذه الوقفات الوصفية أعطت معلومات كثيرة عن الجو العام الذي تجري فيه بعض الأحداث و هي كلها ترتبط بالموضوع و تتسجم معه .

1 - لقبش، ص(73).

2 - لقبش، ص(72).

3 - لقبش، ص(61).

و قد اكتمل عمل الكاتب الوصفي في إبراز معالم البيئة و العادات التي يعيش فيها ذلك الصبي و أهله و من ذلك:

- عادات الذهاب الجماعي للمقبرة لزيارة الولي الصالح سيدي أحمد بلقاسم " و تتأمل ذلك الحشد القروي متجهًا فجرًا إلى ضريح رجل من أولياء الله الصالحين، ترى الفقر ماشيًا ملتفتًا يسعى على الأرض...تشعل النساء النار و يبدأن في الطهي و قد تكتفي عجوز بتهيئة الروينة...و قبل أن توزعها على الأطفال...ترمي بأجزاء طفيفة منها في اتجاه الجهات الاربع حتى لا يغضب الصالحون"(1)

- عادات ذبح القط البري المتوحش وأكله "حينها اجتمع النساء...سلخن جلد القط و قطعنه و وضعنه في قدر يغلي...علمت أن النساء كن يعتقدن أن لحمه يقضي على مفعول السحر لأنه قط متوحش يعيش في البراري.." (2)

- و من ذلك أيضا تصوير البيئة و المجتمع القروي "في الصباح تبدأ حركة القرية حركة أناس يعيشون لأنهم لم يموتوا بعد لا يعيشون لأهداف كبيرة...ألفوا المعاش بين الماعز و الكلاب و الدجاج وهجير الصيف و قر الشتاء يأكلون القوت و ينتظرون الموت...يخرجون من منازلهم نساء و رجال و أطفال...إذا سمعوا صوت سيارة عابرة إنها فرصة لرؤية ذلك الكائن الحديدي.." (3)

كانت البيئة بكافة محتويات البيئة من مكان و زمان و عوامل اجتماعية بيئة مسحوقة خاضعة تحت وطأة الاستعمار، بما يولده الاستعمار من إنتشار الفقر و الجوع و هجرة على الأقدام، يفتات من المزابل، طقوس الشعوذة...و كانت أم الصبي تلجأ أحيانا إلى الدجالين و منهم لمرابط لخضر و تعدهم بهدايا ثمينة إذا رأت زوجها مرة أخرى.." (4)

و من هنا نقول أن للبيئة كان لها الأثر الواضح في صقل مخيلة الصبي و الكاتب معًا.

1 - لقبش، ص(76،77).

2 - لقبش، ص(84).

3 - لقبش، ص(78،79).

4 - لقبش، ص(95).

IV- دراسة تحليلية نفسية لشخصية الكاتب من خلال كتابه " لقبش ":

إن الفن لا يتولد من فراغ وإنما هناك دوافع أدت بالكاتب أو الفنان لإنشاء أعماله فقد تكون دوافع خارجية أي المحيطة به أو دوافع داخلية متعلقة بشعوره و نفسيته و عواطفه، و الطريقة المثلى لمعرفة و كشف النفوس و تحليلها هي اللجوء إلى التحليل النفسي و هذا الأخير الذي جاء به سيجموند فرويد فاعتمد عليه الكتاب بما فيهم كاتب السيرة الذي جعله خطوة من خطوات كتابة سيرته، فنجد كتاب حياة سيجموند فرويد و مؤلفاته دراسة نموذجية تشرح العلاقة بين التحليل النفسي و بين فن السيرة⁽¹⁾.

فقد ألقى علم النفس كثيرا من الأضواء الكاشفة على نفسية الأفراد من أجل فهم طبيعة الإنسان، و تفاعل علم النفس مع السيرة و اتجه إليها باعتبارها حالات متفردة حتى لقد قيل "إن السيرة هي فرع من علم النفس التطبيقي"⁽²⁾

إن ما لمحناه من خلال تحليلنا لسيرة "لقبش"، أنه في كل جزء من أجزاء سرده لمواقفه الطفولية لا نجدها إلا و هي عبارات و مشاعر مليئة بالحزن و اليأس و الخوف و كأنه لا يريد أن يغادر مخيلته و أحلامه التي قد تعلقت بالقرية، حتى الحيوانات كان لها الدور البارز و النصيب الوافر في أحلامه و مخيلته و التي كانت تشكل جزءا من حياته .

فما نعلمه أن الطفل في مراحل الأولى و إلى أن يصبح في مرحلة التمييز بين الخيال و الواقع و الخير و الشر يظل حبيس مشاعره المتأججة داخله و التي تنشأ إثر تراكم لمواقف سعيدة جدًا أو محزنة جدًا و هذه الأخيرة ما تحدث له كبتًا سرعان ما يتحول إلى حقدٍ بارز كالانتقام مثلاً ؛ و هو ما نلاحظه من خلال سرده للموقف الذي عاشه ولا يزال يتذكره يوم قتل جراء الكلبة التي كانت في بيت خاله عمار، و خلاصة ما قاله "و أنت تذكر يوم أوصدت عليها باب الكوري و حملت مع ابن خالك جراءها...و ذبحتما تلك الجراء ثم حفرتما حفرة واسعة و دفنتما الجراء و كان منها الذي لم تخلص روحه بعد...لقد كنت تقتل أبناء الكلاب و مازلت إلى اليوم تعيش من أجل ذلك..³، غير أن هذا الحقد لا يمكن أن يتعدى حدود الحلم أو الأمانى .

¹ - إدل ليون، فن السيرة الأدبية، ص(113).

² - ماهر حسن فهمي، السيرة تاريخ و فن، ص(56).

³ - لقبش، ص(60-59).

كثيراً منا من حدثت له مواقف مثل هذه المواقف التي عاشها الصبي في مرحلة صباه، و قد كانت لنا أحلام كثيرة و مواقف مضحكة تجعلنا نضحك دون توقف...لكن الفرق الذي بيننا و بين هذا الصبي هي أنه ارتبط كثيراً بالجوي القروي الذي عاش فيه و ارتبط كثيراً بأمه الأرملة التي ضحت من أجلهم، لكن الزمن و الأقدار فرقتهم عن بعضهم البعض مبكراً و اجتته المستقبل المجهول كما تجتث الوردة و هي بعدو صغيرة لا تعلم مصيرها إلى أين .

و الذي نحن متأكدون منه، هو أنه لو كان هذا الابتعاد عن أهله تدريجياً لما كان له هذا الأثر البارز في مخيلته إلى الآن أو ربما ما كان ليكثرث في أن يكتب سيرته الذاتية .

و على العموم هذا يعد سبباً واحداً فقط من ضمن الأسباب التي جعلته ربما يبرز هذا النوع من الحزن الكبير مع قليل من السعادة .

كما تظهر على نفسية عياش يحياوي، ذلك الصبي البائس الذي لم يكتفي بالنظر إلى الفقر المتقع على عائلته فقط...كان ينظر بحزن شديد إلى حال أهله و أصدقائه الصبية الذين كانوا من عمره فهو لم يشتم فقره بقدر ما شتم حال أعز الناس إليه و أحبهم لديه .

فقد شاركهم صرخاتهم و آمالهم و أحلامهم، و المواقف كثيرة في هذا الكتاب " ما أكثر أحلام السعيد فقد كان الصبي يجلس معه تحت شجرة السدر الكبيرة و يطلقان العنان لأحلامهما. كان السعيد يحلم بأن يجد كنزاً خرافياً من المال، يشتري منه طائرة أبوابها ذهب ثم يتعلم في ساعة سياقتها و يسافر ليرى البحر...و يعود إلى القرية...و يبدأ في الإنتقام ممن يكرههم و يوزع المال بلا حساب على المساكين.."(1)

و انظر الآن ماذا يقول" و ها هو الصبي يسأل نفسه لو أن السعيد واصل دراسته أليس من الممكن أن يصبح قاص من الدرجة الأولى...لكن السعيد كبر و صار شاباً يحرث و يحصد و يدرس و يسافر و تزوج من القرية..."(2)

إن الحسرة ما زالت تملأ قلبه إلى الآن على حال كل من عرفهم في صباه (السعيد، حدة، عثمان...).

¹ - لقيش، ص(62،63).

² - المرجع نفسه، ص(64).

تعلقت نفسيته بكل ركن من أركان البيت و بكل زقاق من زقاق القرية حتى الحيوانات و الأشجار و الجبال و القبور كان لها النصيب في ذلك " لا يزال متكأ على الركبة إلى جواره طفل رضيع، قال في نفسه: ليتني مثله لا أهجر القرية و أهلها. و سمع صياح ديك فقال هذا سيكون هنا في القرية غدا حين يطبق عليا الظلام في المدينة. و نظر إلى سقف البيت و قال حتى أعمدة السقف لن تهاجر، ليتني مثل أعمدة السقف. في الليل تمنى لو تسقط الأمطار و ترعد السماء حتى يجد عذرا لبقاء يوم آخر في القرية.."(1)

" كان قليل الكلام في ذلك المساء، يودع بنظراته الدجاج و الجدران و الهضاب و يفتعل الفرخ باقتراب الذهاب إلى المدرسة.."(2)

" حمل جسمه النحيف و عاد إلى الطريق البايك، و قفت له أول سيارة... و ذكرياته في القرية "(3)

و كأنه كان يعيش لحظة الوداع لحظة بلحظة، يتأمل الطريق و هي تتبعد به إلى البعيد إلى ما لا يوجد به أهل و لا قرية و لا كلاب و لا قطط و لا ديك يصيح .

ربط مشاعره و أحاسيسه حتى بالعالم المادي و كأنه كان يعتقد أن نخلة عواسة و شجرة الصفصاف و شنقورة بو طالب من عالم الأرواح يحسن و يتألمن، و هم فخره و اعتزازه وسط الفقر و الحرمان و الرغبة بالصراخ يقول: " هناك حيث رائحة الروث و الفقر، و حيث للألوان الترابية الباهتة رغبة للصراخ، و حيث للسراب أجنحة و للأحلام انكسار يابس..لم يرى إلا ثلاثة أشياء عالية كان يعتقد أنها أعلى ما في الدنيا، نخلة عواسة، و شنقورة جبل بو طالب و صفصافة بيت الزيتون...وأما النخلة...فقد اختلفت عليها النوائب و الأحداث..."(4)

إن الصبي و نحن نتأمل داخل صفحات كتابه ندرك أنه قد عاش حالة من اليأس و الضياع داخل جسده الصغير و قد عان الأمرين في حياته و ما يثبت ذلك ما نلاحظه في خلاصة كل جزء من أجزاء سيرته يحاول فيها الكاتب أن يجمع بين الماضي البعيد و الحاضر القريب " إن السعيد في أعماق الصبي ليس إنسان ذا طول

1 - لقبش، ص(69).

2 - المرجع نفسه، ص(69).

3 - المرجع نفسه، ص(70).

4 - المرجع نفسه، ص(87).

و عرض و لسان و عقل لكنه شظية من شظايا طفولة انفجرت و ذهبت في اتجاهات الريح...إنه أحد أغصان الشجرة السحرية التي علق عليها الصبي القروي أتعابه و تمزقاته و شعر بالراحة و الأنس حين استلقى تحت ظلالها " .

و أنظر ماذا يقول في الأخير "...آه لو يمكن إعادة صياغة الطفولة و خطواتها الأولى...لجعلت البناء غير البناء و السعيد غير السعيد..."(1)

يتمنى الكاتب لو أن هذا التفكير الناضج كان تفكيره في الصبا...لكان وجد حلاً لجميع أحلامه و لجميع عقده...غير أن العقدة النفسية ما زلت موجودة داخله و هي السبب اللادع لحقده على الجيل السابق و على المدينة و اعتقاده أن هذا المجتمع هو مجتمع متحجر و مجتمع بدون رحمة، مجتمع يحسب أن أناس القرى لا تحس و لا تفكر و لا تشعر أبداً بالأسى و خاصة الأطفال. و هذا نموذج على أن الذاكرة عند طفل لا تمحى أبداً. " في الساعة الثامنة صباحاً كان الصبي أمام بوابة دار الطفولة لأبناء الشهداء...يخضع لحملة تفتيشية، أخذ منه المراقبون في الدار الرفيس التونسي و البلوط و البيض المشرشم و التمر و قيل له إذهب فقد سامحناك هذه المرة...تجرع السطو و الكلمة النابية و أنزل أذنيه و أندمج مع الاطفال..."(2)

إن الأشخاص في ذلك الزمان كانوا غير واعين بأن ذلك الموقف سيرسخ في ذاكرة الصغير، و غير مدركين بأن الذاكرة تكون في قمة تركيزها و تسجيلها للأحداث وهي في حالة الاستثارة العاطفية و بخاصة عند الطفل .

و ما نعلمه أيضا أن الأطفال يبدأون في سن السابعة أو الثامنة في مقارنة أنفسهم بأقرانهم من الصغار و تؤدي هذه المقارنة إلى تكوين الطفل ل صورة الذات و هي رأي الإنسان في نفسه . و قد تؤثر صورة الذات التي تتكون في الطفولة على سلوك الإنسان طوال حياته .

إنه و رغم تجاوزه لمرحلة الصبا و مرحلة الفقر و سموه في التعليم و ترقيه إلا أنه ما يزال ينظر إلى نفسه داخل كل طفل فقير، ما يزال يعيش داخل القرية و يعتقد الفقر .

¹ - لقيش، ص(64).

² - المرجع نفسه، ص(71).

لذلك نقول أن كل المواقف و الأحداث المؤثرة والتي تعيشها الشخصية في مرحلة الطفولة تظل حبيسًا في منطقة اللاوعي لا تظهر إلا عندما تستفز الشخصية في مرحلة من مراحل تطورها .

كما تظهر شخصيته شخصية عاطفية و حساسة جدًا ما زلت و رغم تقدم سنه تحس بالآلام و معاناة عائلتها الصغيرة، و من ذلك الموقف الذي عاشته عائلته في أول أيام عيد الفطر سنة 1959م حين حاصرت قوات الاحتلال عليهم المكان و قذفت والده بقنبلة غازية مخدرة ثم حملته مروحية و غابت عن الأنظار و منذ ذلك الحين لم يروه أبدًا.

يقول: " حين تجاوزت العشرين من عمري لم أعد أحتفل بالعيدين عيد الفطر و عيد الأضحى و عادة ما أقضي صباح العيدين في النوم أو مطالعة الكتب، هل يعود السبب إلى ارتباط العيد بالقاء القبض على والد؟ ربما يكون هذا هو السبب، فقد علمت بتفاصيل ما حدث في بداية مراهقتي، و قد تجاوز الأمر ذلك إلى نفوري من حضور الأعراس أيضا." (1)

و ما نلاحظه أيضا و نحن متأكدون من ذلك أن هذا السرد كله عبارة عن رسالة وجهها الكاتب إلى كل من نظر إليه نظرة استشفاء و تكبر، و كأنه أراد أن يقول لهم أنظروا للذي قلتم عليه أنه لن (يكبر) وهذه الكلمة لها عدة دلالات.

فالمغزى من العودة إلى الطفولة تمثل محاولة للتحرر من المواقف و الظروف العائلية القاسية التي واجهها عياش يحيايوي في طفولته، من هنا فإن "لقبش" تبدو لنا كسيرة ذاتية كتبت من أجل التحرر .

غير أن الذي يمكن أن نقوله هو أنه إلى أي مدى يتمكن الكاتب لهذا النوع من الفنون الأدبية من تمثل الصراحة و إلتماس الحقائق و هو يتحدث عن نفسه أي أنه هو العارض و المعروف و الواصف و الموصوف، و النفس إما أن تغلو في تقدير ذاتها أو يحملها حب العدالة على تهوين شأنها وإما أن تقف موقف القاضي الموضوعي و الحكم النزيه و ذلك مطلب عزيز التحقيق .

¹ - المرجع السابق، ص(36).

يقول أحمد أمين « و العين لا ترى نفسها إلا بمرآة و الشيء إذا زاد قربه صعبت رؤيته. »⁽¹⁾

فنحن في هذا التحليل اعتمدنا كل الإعتماد على النص السردي لا غير، كحقيقة ثابتة لا يمكن التشكيك فيها و نرجو أن نكون قد وفقنا في هذا التحليل .

¹ - علي عبده بركات، اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دبط، دبت، ص(50).

V- مقارنة بين مضمون السيرة الذاتية " لقبش " و بعض نماذج السير الأخرى في مرحلة الطفولة :

إن هذه الدراسة المقارنة تعد تحيلاً عاماً لأهم الخصائص التي ميزت كتابات مؤلفي كتب السيرة الذاتية في العصر الحديث و التي نالت شهرةً واسعةً في هذا النوع من الفنون النثرية، و من هنا كانت مقارنتنا على مستوى المنهج و مستوى الأسلوب و مستوى السرد عامة، فكان لنا أن نقف على أهم البارزين في هذا المجال أمثال طه حسين في كتابه "الأيام"، و أحمد أمين في كتابه "حياتي"، فكانت الدراسة المقارنة كالتالي:

1/ مقارنة على مستوى المنهج :

يعد طه حسين من الذين قدموا في مجال الإبداع الأدبي أعمالاً كثيرة لقت شهرة في الوسط الأدبي العربي المعاصر. من بين هذه الأعمال سيرته الذاتية "الأيام": « التي ليست مجردة سيرة ذاتية كتبها طه حسين ليؤرخ بها حياته الشخصية و لكنها في حد ذاتها تعتبر رواية فنية من طراز أصيل »⁽¹⁾

إن المنهج الذي اعتمده طه حسين في كتابة سيرته "الأيام" كان المنهج الوصفي التحليلي، لكن الوصف في روايته كان شديد الدقة و مطول للغاية و هو ممتع في البداية و لكنه يسبب شيء من الملل أحياناً، كما في وصفه للطرق و الشيوخ و بعض الأشياء من ذلك: "كان علماء المدينة ثلاثة أو أربعة...أما أحدهم فكان كاتباً في المحكمة الشرعية، قصيراً ضخماً غليظ الصوت جهورية، يمتلئ شذقه بالألفاظ حين يتكلم، فتخرج إليك هذه الألفاظ ضخمة كصاحبها..."⁽²⁾

و في مواقف أخرى نجه قد استطاع أن يصور لنا صورة موت أخته بالوصف و التحليل الدقيق و كأننا نعيش ذلك المشهد. كما اعتمد على المنهج التاريخي في سرد أحداث عصره و بيئته بكل عاداتها و تقاليدها، فكما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع و تعرض أعماله متصلة بالأحداث العامة أو منعكسة منها أو متأثرة بها فإن السيرة في هذا الوضع تحقق غاية تاريخية، و كلما كانت تجتزئ بالفرد و

¹ - مصري عبد الحميد حنورة، طه حسين و سيكولوجية المخالفة، دار غريب، القاهرة، د.ط، 2006م، ص(59).

² - طه حسين، الأيام، دار الهدى لطباعة و النشر، عين مليلة، الجزائر، د.ط، 2010م، ص(45).

تفصله عن مجتمعه و تجعله الحقيقة الوحيدة الكبرى و تنظر إلى كل ما يصدر عنه نظرة مستقلة فإن صلتها بالتاريخ تكون واهية ضعيفة.

و هذا ما لمحناه في منهج أحمد أمين الذي اعتمد على المنهج التاريخي و الذي ينهج فيه المؤلف نهج المؤرخ في تتبع سيرة حياته في شكل تصاعدي للأحداث و بحيادية تامة و كأنه يرصد حياة غيره ففتنقد البعد الداخلي، و نجد الدكتور إحسان عباس على هذا بقوله : « و الحقيقة أن أحمد أمين عاد بالسيرة الذاتية إلى التاريخ و ابتعد عن الناحية الفنية التي تجعل من السيرة الذاتية ينبوعا يتدفق من النفس و يفيض على ما حولها»⁽¹⁾.

فالكاتب عياش يحيايوي في هذه السيرة اعتمد على كلى المنهجين، التاريخي و الوصفي التحليلي ليجمع بين البعد الداخلي و البعد الخارجي .

2/ مقارنة على مستوى الأسلوب :

جاءت سيرة طه حسين في أسلوب أدبي شفاف . و لقد عاب بعضهم على أسلوب الكاتب لكثرة ما فيه من عطف و تكرار .

حيث نجده في كثير من عبارات الكتاب، و هو كما يقال خروج عن أسس البلاغة⁽²⁾. و على حسب معلوماتنا أن ذلك يعود إلى عدم البصر، فقد كان يملي على ابنته دون أن ينتبه إلى التكرار الموجود بين جملة و أخرى. غير أن ألفاظه جاءت سهلة ميسرة ذات مستوى رفيع في الوقت نفسه و لغة دقيقة و ملفتة و راقية.

و من ذلك: " هذا الماء المسكين الذي ترسل النار عليه حرارتها فيئن ثم يتغنى شاكياً ثم يجهش " ⁽³⁾

و ما نلاحظه أن أسلوب أحمد أمين، أسلوب سردي تقريرى يقوم على القص و الأخبار و هو يعتمد فيه على التحليلي المنطقي نتيجة لثقافته الأزهرية و الفلسفة و نجد هذا فيما يقوله: " فما أنا إلا نتيجة ضحية لكل ما مرّ علي و على آبائي من أحداث فالمادة لا تتعدم و كذلك المعاني " ⁽⁴⁾

1 - شعبان عبد الحكيم، السيرة في الأدب العربي الحديث، رؤية نقدية، دار العلم والإيمان للنشر و التوزيع، ط1، 2008م، ص(57).

2 - أنيس المقدسي، الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة، ص(573).

3 - طه حسين، الأيام، دار الهدى، الجزائر، 2006م، د.ط، ج 2، ص(28).

4 - أحمد أمين، حياتي، دار موقم للنشر، الجزائر، د.ط، 1988م، ص(09).

و أما الألفاظ و العبارات فتمتاز بالبساطة و السهولة و لغته فصيحة مائة بالمائة إلا ما ظهر من ألفاظ عامية مصرية، و التي لم يشرحها يقول مارون عبود: « و ما أسفت لشيء في هذا الكتاب إلا لأن الأستاذ الجليل لم يشرح لنا بعض الألفاظ المحلية، مثل البوطة، و فرنجية و أشباهها لأننا لا نستطيع فهمها لإختلاف مدلولها بين الأفكار، و لعل الأستاذ يفعل ذلك عندما يعيد طبع كتابه»⁽¹⁾

غير أن ما لحظناه من دراستنا لكتاب "لقبش" أن الكاتب قد جمع بين الألفاظ العامية و الألفاظ الفصحى في أسلوب بسيط و واضح و سهل جدًا و لغة معبرة و موحية ملتزمًا بالشرح عند إدراج اللغة العامية .

3/ مقارنة على مستوى السرد:

إن طه حسين قد اختار قالب القصصي لسرد سيرته مستخدمًا فيها طريقة السرد المتتابع و لم يستخدم الحوار إلا في مواضع نادرة، و لو كان الجمع بينهما لكان أجمل، و نلمس في روايته أيضًا اعتزازه بنفسه و انطلاقه في الحكم على الآخرين و وصفهم كما يحلو له أو كما يظهر له. و قد يكون للجهل الشديد في قريته و شيوع الخرافات و السحر و غيرها من الأمور الدالة على تأخر العقول تأثير على ما وصل إليه طه حسين. فقد كان (سيدنا) يحلف كذبًا أمام الصبي و قد جعله هذا الموقف الذي كثيرًا ما عاشه في طفولته غير محتفي بالدين و رجاله. و المواقف كثيرة في كتابه و التي تدل على ذلك .

و قد رأينا أن الكاتب في قصته يتحدث عن نفسه كما لو أنه يتحدث عن غلام عرفه أو عاش معه مراحل حياته من صباه و إلى مرحلة متطورة من حياته، و هذا ما لمحناه في الأسلوب السردى الذي اعتمده عياش يحيائي و الذي لا يختلف كثيرًا عن منطلقات السرد عند طه حسين و لا يفسر هذا إلا تأثره بكتاب "الأيام"... لكن ما يجدر الإشارة إليه هو أن الحال الشعورية و الذاتية و التي تختلف من كاتب إلى كاتب آخر تجعله أو تفرض عليه طريقة سرد لسيرته الذاتية تختلف كل الاختلاف عن باقي السير الذاتية الأخرى .

¹ - محمد صادق عفيفي، الدراسات الأدبية. دراسة في التراجم و القصة في الطفولة، حياتي. زقاق الذاق، دار الفكر، دمشق، 1970م، ج5، د.ط، ص(75.76).

و ما لاحظناه أيضا أن كتاب "الأيام" في أحداثه شبيهاً بسيرة أحمد أمين "حياتي" و هذا ما ذهب إليه بعض الدارسين مرجعين ذلك إلى سبب تأثر أحمد أمين بكتاب "الأيام" لطفه حسين و يعود هذا السبب إلى ما أحرزه هذا الأخير من شهرة واسعة و كذلك النشأة الأزهرية لكليهما.

لكن هذا لا يدعوا لأن يكون هنالك تشابه كبير بينهما، و قد نفى أحمد أمين ذلك مؤكداً بأن فكرة كتابة تاريخ حياته بدأت في شبابه و الدليل على ذلك أنه يكتب المواقف التي واجهته و الأحداث المهمة في حياته على شكل مذكرات أي أنه كان يمهّد لهذه السيرة منذ الشباب .

و ما يدل على اختلافهما التام أن أحمد أمين نجده في سيرته يكثر من ضمير "الأنا" لأن همه الأول على حد تعبير إحسان عباس « أن يصف الخطوات الإيجابية التي أدت به إلى الوصول، و غايته أن يصف كيف و صل »⁽¹⁾ . و نجد هذا في قوله: "و قد وضع لي أبي برنامجاً مرهقاً لا أدري كيف احتملته، و كان يوقظني في الفجر فأصلي معه ثم أقرأ من القرآن و أحفظ متناً من المتون..."⁽²⁾

فكلما سمت غاية المؤلف في سيرته كلما ارتقى مستوى هذه السيرة فنياً مع مراعاة حسن المعالجة الفنية لهذا العمل الأدبي...و الصدق ملمح أساسي في السيرة، يعطيها جمالاً و تأثيراً في النفوس و هذا ما نجده في سيرة طه حسين "الأيام"...و وجدنا الصراحة تكتسي كل صفحات سيرة أحمد أمين "حياتي".

لم يكن كل من هؤلاء (عياش يحيوي طه حسين) يكتب يومياته ثم يقوم بجمعها و نشرها بل إنه اعتمد على الذاكرة في كتابة كتابه، و الذاكرة لا تنسى فحسب بل هي تفلسف الأشياء الماضية و تنظر إليها من زوايا جديدة و تهدم و تبني حسبما يلائم تجدد الظروف و تغييرها و تجد التعليل و المعاذير لأشياء سابقة لأنها في عملية كشف دائم و معنى ذلك أن الماضي شيء لا يمكن إسترجاعه على حاله و لا مناص من تغييره بوعي أو بغير وعي، "فليس هناك سيرة ذاتية تمثل الصدق الخالص"⁽³⁾

1 - المرجع السابق، ص(75).

2 - أحمد أمين، حياتي، ص(52).

3 - بكر يوسف، عين الشمس، مقاربات في النقد و نقد النقد، مكتبة الرائد، عمان، ط1، 2006م، ص(122).

خاتمة:

بعد أن قمنا بقراءة رواية السيرة الذاتية " لقبش " للكاتب عياش يحيايوي ، وجدنا من خلال تحليلها بعض التقنيات المناسبة لدراستها و تطرقنا لعناصرها المختلفة و ذلك بتتبع الدراسة من جانب الرواية في الدراسات السردية المعاصرة و تطبيقها على النص السردى الذي بين ايدينا. لا يسعنا في الأخير إلا أن نستخلص بعض النتائج من خلال هذه القراءة و التي كانت كالآتي :

- أن السيرة الأدبية سواءً الموضوعية أو الذاتية تعد كثرًا نادرًا من كنوز الكتابة الأدبية، و التي تمتد جذورها إلى آلاف الحقب الإنسانية بما استطاع الإنسان أن يخلقه من وسائل للتحرر من الضغوطات العاطفية سواء برسم الحيوانات أو الأشكال الهندسية أو أنواع أخرى من الخطوط .

- استفادة السيرة من الأجناس الأدبية الأخرى و أخذت منها مثل : فن الرواية و فن القصة، فقد أخذت من الرواية الإيهام بالواقع، و استبطن الذات و المونولوج الداخلي للشخصية، و أخذت من القصة القدرة على عرض الصراع بين البطل و البيئة و الصياغة الروائية و أخذت من المسرحية الحركة و الحوار .

- صحيح أنه يوجد فرق بين السيرة الذاتية و الموضوعية لكن هذا الفارق لا يمنعها من وجود علاقة بينهما تتمثل بأن هدفهما واحد هو نقل حياة التجربة الإنسانية و جعلها حية لا تموت .

- في دراستنا لسيرة عياش يحيايوي و جدنا أن أسلوبه سهلا بسيطا يكاد يكون خالياً من الغموض معتمداً بذلك على منهج تاريخي وصفي تحليلي يجمع بين الواقع و الخيال .الواقع الذي لا يمكن تغييره و الخيال الذي يجسد المعاني الداخلية للذات .

- أن أسلوب عياش يحيايوي أسلوب شاعري جميل مليء بالصور الموحية المعبرة و هو قد نجح تمامًا في إختيار الألفاظ التي تستطيع أن تعبر بصدق عن الأفكار التي يقدمها

(أسلوبه فني)، كما أنه أسلوب سلس بسيط و الكلمات و الصور معبرة بصدق عن قوة الموقف و الفكرة معا.

- أن الوجدان يخلق من اللا شيء شيئاً عريقاً، يجعلنا ندرك أن ما بداخلنا أعظم و أكبر مما هو موجود في واقعنا، و أن هذا الخلق يمكن أن يكون له عواقب وخيمة، لو أستغل في غير الكتابة.

- آمنت فوراً أن الفائدة من الكتب لا تقاس بمظهرها و حجمها بل بمحتواها و جوهرها ، و أن العظمة بكل تفاصيلها تسكن في السطور و بينها و خلفها فتزينت بكثير من العبر و المواعظ و الدروس.

- أن السيرة الذاتية كشف عن الشخصية في أثناء عملية الصراع التي تقوم بين شعور الكاتب بذاته و موقف المجتمع منه و مدى خضوع أحد الطرفين للآخر .

- شخصيات السيرة كانت محدودة جداً لكنها كانت ذات تأثير عميق على شخصية الكاتب ، و نظرتة و حكمه لم تكن متجردة أبداً و إنما كانت تابعة لإحساسه و موقفهم منه و من تعاملهم معه

- لقد اختار الكاتب القالب لقصصي لسيرته و هناك من كتب سيرته في صورة رسائل أو يوميات أو مذكرات .

- عياش يحيائي لم يكن مجرد كاتب سارد لسيرته بقدر ما كان راسماً لملامح الشخصية الجزائرية إبان الاستعمار و بعده .

- استطاع الكاتب التعبير عن أدق الخواطر و تحليل المواقف تحليلاً منطقياً ليجعل من كل هذا نقطة تأثير في نفسية القارئ مستعملاً عنصراً أساسياً ألا و هو الصدق .

- أن الأدب الخالد كما يراه المجددون هو الذي تكون نفس الأديب حية نابضة فيه، فقد يخطئ الإنسان اليوم في حكمه على أثر من الآثار فيستكبر الصغير و يستصغر الكبير و قد يخطئ جيلاً نعم، لكنه لا يخطئ دهرًا ، فالأثر الخالد لا يموت و الميت يعيش و لا يخلد من الآثار إلا ما كان فيه بعض من الروح الخالدة.

ملحق

عياش يحيوي

- ولد عام 1957 بعين الخضراء . ولاية مسيلة¹.
- عاش طفولته متنقلاً بين الخيام وبيوت القرية الطينية ، ثم انتقل إلى الحواضر على سواحل المتوسط بعد أن قضى السنوات الست الأولى من تعليمه في المدارس الداخلية لأبناء الشهداء ، وأنهى دراسته بدخول الجامعة.
- يعمل في مجال الصحافة.
- شاعر وإعلامي و باحث يقيم في الإمارات 1998م.
- رئيس القسم الثقافي في جريدة الخليج بالشارقة حتى 2007م.
- كبير الباحثين في هيئة أبو ضبي للثقافة و التراث منذ 2007 م.
- محاضر في أكاديمية الشعر في أبو ضبي.
- شارك في العديد من الملتقيات والمهرجانات الأدبية في الجزائر والعالم العربي.

مؤلفاته الإبداعية :

- . تأمل في وجه الثورة، شعر ، 1982 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
 - . عاشق الأرض والسنبله، شعر، 1986، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
 - . انشطارات الذي عاش سهوا، شعر، 2000، دار الكنوز الأدبية، بيروت .
 - . مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2000، دار الكنوز الأدبية، بيروت .
 - . أجراس، كتابات حرة، 2004، مطابع "البيان" التجارية، دبي .
 - . قمر الشاي، شعر، 2008، دار الفجر، أبو ظبي .
 - . ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، طبعة ثانية، دار الفجر، أبو ظبي.
 - . لقبش . سيرة ذاتية لحليب الطفولة . الجزء الأول، 2008، دار الفجر، أبو ظبي.
- يصدر له قريبا في مجال الشعر :
- مجموعة شعرية تتكئ على السيرة الشعبية للشاعر الإماراتي الماجدي بن ظاهر.

غافة العراقيب المنسية "مجموعة شعرية" .
الجزء الثاني والثالث من سيرة لقبش الذاتية² .
له العديد من المؤلفات في مجالات أخرى

تلخيص موضوع الرسالة:

إن البحث الذي بين أيدينا شرعنا في الدخول إليه بمقدمة شملت البواعث التي كانت وراء اختيارنا لهذا الموضوع ، و أهمها اقتناعي بما في عمل هذا الكاتب من طاقة فنية جديرة بالوقوف عليها و كذا ذكر جملة من العقبات الشخصية و غير الشخصية التي عسرت أو أطالت طريق العمل، و في المقدمة أشرت إلى دواعي انتخابي لهذه الرواية السيرية، لتكون محور جل التطبيقات التي قام عليها البحث.

و بعد المقدمة تأتي الخطة المشتملة على أجزاء البحث و فصوله جميعاً، فقد تناولت في المدخل علاقة فن السيرة بالأسطورة و كيفية ظهورها عند العرب و الغرب، و أما فيما يخص الفصل النظري فقد قمنا بإعطاء مفهوم عام لفن السيرة لنخلص في الأخير بأن فن السيرة نوعان: السيرة الذاتية و التي يؤرخ لها صاحبها ، والسيرة الموضوعية و التي يكتبها الكاتب حول شخصية نالت إعجابه.

و من خلال هذا التمييز القائم بينهما ارتأينا أن نتكلم عن كل واحدة على حدّ مبرزين أهم الخصائص و المميزات و كذا أهم الأعمال التي كتبت في إطارهما، و آخر ما تطرقنا إليه في الجانب النظري هو ربط العلاقة بين فن السيرة عامة و الفنون الأدبية الأخرى (القصة ، الرواية).

و أما الفصل التطبيقي فقد كان عبارة عن دراسة تحليلية لنموذج من السيرة الذاتية و الذي يتناول مرحلة الطفولة للكاتب عياش يحيايوي ، ففي إطار هذه الدراسة تطرقنا إلى دراسة منهجه و الذي كان يكتسي الطابع التاريخي الوصفي التحليلي الغالب على جل السير الذاتية ، ثم استخلصنا أسلوبه المتبع و كذا دراسة البنية السردية القائمة في السرد الروائي الذي بين أيدينا من (زمان ، مكان ، شخصيات ، حدث ، حوار ، وصف) ، و وجدنا أن تقنيات السرد تختلف من كاتب إلى آخر، كل حسب رغبته و راحته لسرد أحداث حياته.

لنصل في الأخير إلى إعطاء صورة عامة حول نفسية الكاتب من خلال كتابه ، و مقارنة كتاب هذا الأخير مع نماذج أخرى من كتب السيرة الذاتية أمثال "الأيام" ل طه حسين و "حياتي" ل أحمد أمين .

ثم ختمنا هذه الرسالة ببعض الملاحظات و النتائج مما خلصنا إليه عبر مصاحبتنا الطويلة لعمل هذا الأديب، منها أنه مزج كتابه بين العامية و الفصحى حتى تكون رسالة للشعب الجزائري عامة و كذا لأهل المدن المتعصبين خاصة.

إلى هنا نرجو أن نكون قد أوجزنا ما يشجع القارئ على الخوض في تفاصيله عندما يتيسر له ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

- (1) إحسان عباس ، فن السيرة ، دار الشروق ، عمان ، ط1 ، 1996م .
- (2) أحمد أمين ، حياتي ، دار موقم للنشر ، الجزائر ، د.ط ، 1988م.
- (3) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربي ، ط10 ، بيروت ، لبنان ، ج2 ، د.ت.
- (4) أحمد رحمانى ، النقد التطبيقي الجمالي و اللغوي في القرن الرابع الهجري ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي القديم ، 1987م .
- (5) أحمد طالب ، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ط ، 1989م.
- (6) إدل ليون ، فن السيرة الأدبية ، ترجمة صدقي خطاب ، مؤسسة الجليبي و شركائه القاهرة ، د.ط ، 1973 .
- (7) آمنة يوسف ، تقنيات السرد في النظرية و التطبيق ، دار الحور للنشر و التوزيع ، سورية ، ط1 ، 1997م.
- (8) أنيس المقدسي ، الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1990، 5م .
- (9) بكار يوسف ، عين الشمس ، مقاربات في النقد و نقد النقد ، مكتبة الرائد ، عمان ، ط1 ، 2006م.
- (10) جلييلة الطريطر ، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بحث في المراجعيات) ، مركز النشر الجامعي . مؤسسة سعيدان للنشر ، د.ط ، ج1.ج2 ، 2004م .
- (11) جميلة قيسمون ، الشخصية ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد 13، جوان 2000م
- (12) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي .الفضاء ، الزمن ،الشخصية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،ط1 ، د.ت.
- (13) حنان قرقوتي ، من العلوم عند المسلمين ، مجلة المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2006م.

- (14) حنان محمد موسى حمودة ، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر.أحمد عبد المعطي أنموذجا ، دار الكتاب العالم ، ط2 ، د.ت .
- (15) دانيال مندليسون ، نهاية الرواية و بداية السيرة الذاتية ، ترجمة أحمد العيسى ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط1 ، 2011 م .
- (16) زياد محبك ،(الأسطورة)، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب،ع172، دمشق ، سوريا ،1985م.
- (17) سيزا أحمد قاسم ، بناء الرواية.دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط،1984م.
- (18) شعبان عبد الحكيم ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، رؤية نقدية ، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2008م .
- (19) طه حسين ، الأيام ، دار الهدى ، الجزائر ، د.ط ، ج 2، 2006م.
- (20) طه وادي ، هيكل رائد الرواية و السيرة و التراث ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ط2 ، 1417هـ-1996م .
- (21) عبد المالك مرتاض ، الفنون النثرية في الأدب الجزائري ، مطابع مؤسسة الكرامة، عمان ، 1983 .
- (22) عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،عالم المعرفة ، الكويت،1998م.
- (23) عز الدين ، إسماعيل ، الأدب و فنونه ، دار الفكر العربي ،1976م .
- (24) علي عبده بركات ، اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، د.ط ، د.ت .
- (25) عياش يحيى ، لقبش . سيرة ذاتية لحليب الطفولة ، الجزائر ، ج1 ، ط2 ، 2012م .
- (26) فواز الشعار ، الأدب العربي ، دار الجيل ، بيروت ، د.ط ، د.ت .
- (27) قراءة في الرواية الجزائرية ، الدار الكبيرة ، محمد ديب ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة قسنطينة ، مذكرة معدة لنيل شهادة الماستر ، 2011م .
- (28) ماهر حسن فهمي ، السيرة تاريخ و فن ، مكتبة النهضة المصرية ، لقاهرة ، ط1، 1970م.

- (29) مايكل كوبرسون ، في السيرة العربية عصر المأمون ، ترجمة محمود محمد مكي، دار النشر المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2005م.
- (30) محفوظ كحوال ، الأجناس الأدبية النثرية و الشعرية ، دار نوميديا للنشر و التوزيع ، د.ط ، 2007م.
- (31) محمد العمري ، البلاغة و الأسلوب ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1999م.
- (32) محمد بوعزة ، تحليل النص السردي . تقنيات و مفاهيم ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الرباط ، د.ط ، د.ت .
- (33) محمد صابر عبيد ، السيرة الذاتية الشعرية ، قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية ، عالم الكتب الحديث ، ط1 ، 2007م.
- (34) محمد صابر عبيد ، المغامرة الجمالية للنص القصصي ، عالم لكتب الحديث ، ط1 ، الأردن ، 2010م.
- (35) محمد صادق عفيفي ، الدراسات الأدبية. دراسة في التراجم ، القصة في الطفولة : حياتي ، زقاق المذاق ، دار الفكر، دمشق ، ج5 ، د.ط ، 1970م.
- (36) محمد عبد الغني حسن ، التراجم و السير ، دار المعارف ، د.ط ، 1969م .
- (37) محمد مسعود جبران ، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب (المضامين و الخصائص الأسلوبية)، دار المدار الإسلامي، ط1، ج1 ، 2004م.
- (38) محمد يوسف نجم ، فن القصة ، دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996م.
- (39) مصري عبد الحميد حنورة ، طه حسين و سيكولوجية المخالفة ، دار غريب ، القاهرة ، د.ط ، 2006م.
- (40) مصطفى الصاوي الجويني ، في الأدب العالمي. القصة و الرواية و السيرة ، منشأة المعارف جلال حزي و شركاؤه ، د.ط ، د.ت .
- (41) ميخائيل نعيمة ، الغريال ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط8 ، 1989م.
- (42) ناصر عبد الرزاق الموافي ، القصة العربية . عصر الإبداع ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، مصر، ط3 ، 1997م.

- (43) نبيلة زويش ، تحليل الخطاب السردى.(في ضوء المنهج السميائي) ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2003م .
- (44) يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، د.ط ، د.ت.
- (45) يوسف حطيني ، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية ، إتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، د.ط ، 1999م.
- (46) الموسوعة العالمية العربية ، مؤسسة أعمال الموسوعة و التوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط2 ، 1999م.

المعاجم العربية:

- (1) الفيروز أبادي أبي الطاهر محي الدين بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم ابن عمر الشيرازي ، قاموس المحيط ، بيت الأفكار الدولية ، بيروت لبنان ، ط4 ، 2004م .
- (2) المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة ، د.ط ، د.ت .
- (3) ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط3 ، 1999م ، المجلد7 .
- (4) بطرس البستاني ، محيط المحيط ، مطابع تيبو- يرس ، بيروت ، لبنان ، 1987م .

الأنترنت:

- [http :www .Diwanalarab.com/spin.php](http://www.Diwanalarab.com/spin.php) 14819-22 K similar papes.
- WWW.izzatomar.com/...index.php?.....viewarticlecartid.....

الفهرس

الصفحة	المحتويات
أ، ب، ج	المقدمة.....
	مدخل : نشأة فن السيرة
05	أولاً: السيرة في حدود الأسطورة و التاريخ
10	ثانياً: فن السيرة في الأدب الغربي
15	ثالثاً: فن السيرة في الأدب العربي
	الفصل النظري : مفاهيم عامة حول فن السيرة
22	I- مفهوم فن السيرة
26	II- أنواع فن السيرة
26	1- السيرة الذاتية
28	1-1- أنواعها
32	1-2- أسباب كتابتها
35	1-3- بعض المؤلفات فيها
36	2- السيرة الموضوعية (الغيرية)
37	2-1- أنواعها
40	2-2- بعض المؤلفات فيها.....
42	III- الفرق بين السيرة الذاتية و الموضوعية.....
47	IV- خصائص فن السيرة
48	V- كتابة السيرة.....
48	1- الموضوع.....
50	2- البحث
51	3- النقد.....
52	4- التحليل النفسي.....

54 الزمن -5
55 علاقة فن السيرة بالفنون الأخرى -VI
56 1- علاقة فن السيرة بفن الرواية.
58 2- علاقة فن السيرة بفن القصة.
	الفصل التطبيقي : قراءة نقدية في مضمون السيرة "لقبش"
61 I - تلخيص مضمون السيرة
66 II - دراسة المنهج و الأسلوب المتبع من طرف الكاتب
66 1- منهجه
69 2- أسلوبه
72 III - دراسة البنية السردية في رواية السيرة " لقبش "
72 1- بنية الزمن
76 2- بنية المكان (الفضاء).
80 3- بنية الحدث و الشخصية.
89 4- الوصف و الحوار.
89 5- تصوير البيئة و العادات.
93 IV - دراسة تحليلية لنفسية الكاتب من خلال روايته.
99 V - دراسة مقارنة بين مضمون السيرة و نماذج أخرى من السير.
104 ملحق
106 الخاتمة
108 تلخيص مضمون الرسالة.
 قائمة المصادر و المراجع.
 الفهرس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ